روايات عالمية للجيب

٣



تأليف : أيان فلمنج
إعداد : د. نبيل فاروق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

١ ــ جريمـة ..

توارى قرص الشمش الاحمر وراء الجبال ، فى تمام السادسة ، مخلفا ظـلا قاتما على شـارع (ريتشموند) ، وعلى اطراف اشجاره المرتفعة ، التى تنتشر فى حدائقه الغنـاء ، وباستثناء حفيف أوراق تلك الأشجار ، بدا الشارع ساكنا خاويا ؛ فلقد ترك سـكانه الأثريـاء ، من مديرى الشركات والبنوك مكاتبهم ، وعادوا إلى منازلهم فى الخامسة كالمعتاد ، تاهبا للسهرات شبه اليومية ..

وشارع (ريتشموند) هـذا هو احد افضـل شوارع (جامايكا) ، تصطف على جانبيه القصور المنيفة ، ذات الطرز المعمارية المبهرة ، التى تشف عن عظمة وثراء قاطنيه ، وفى الركن الشرقى منـه بناء كبير من طابقين ، له شرفتان كبيرتان ، ترتفعان على اعمدة رخامية ضـخمة ، وتمتـد امامه ارض سندسية خضراء ، فرشـت بالحصى الملونة ، فى نسق هندسى جميـل ، وتنتهى بسـاحات التنس الانيقة لنادى الملكة ، الذى يفخر بتاريخ من المآثر والانتصارات يبلغ نصف القرن ، وعلى الرغم من عتاقة مظهره ، إلا انه لا يزال صالحا كاشهر نوادى

الجزيرة المعروفة فى البحر الكاريبى ، تحتشد أمامه — كل ليلة — سيارات أصحاب الملايين ، الذين يلتصقون بموائد القمار حتى منتصف الليل ، ومن بينها سيارة القائد العام لقوات الدفاع فى البحر الكاريبى ، وسيارة المدعى العام لمدينة (كينجستون) ، واستاذ رياضيات معروف ، وعدد من كبار سفراء ودبلوماسيى الدول الأجنبية ..

ومع انتقال عقارب الساعة إلى السادسة والربع ، راحت الحياة تدب تدريجيا فى شارع الأثرياء ، ومن احد جوانبه ، ظهر ثلاثة من المتسولين الصينيين ، يتجهون نحو اربع سيارات متوقفة على الجانب الآخر ، وهم ينحنون فى ادب جم ، وعصيهم البيضاء تضرب ارض الشارع فى رفق ..

كان اولهم يخفى عينيه خلف منظار ازرق سميك ، ويبدو وكانما يمكنه ان يبصر بأفضل من الآخرين ، وهو يمسك بيده وعاء صغيرا ، ويضع يده الأخرى على كتف زميله الثانى ، الذى وضع يده بدوره على كتف الثالث ، وقد اغلقت عيون الثانى والثالث تماما ، وبدا الثلاثة بثيابهم الرثة البالية أشبه بقطار بشرى متهالك ، يمضى بلا صوت إلى جوار الإفريز ، وكان مظهرهم وسط شارع الأثرياء يبدو مضجرا

مثيرا للاشمئزاز والدهشة ، والصفة الأخيرة بالذات تعود إلى أنهم لم يكونوا من الصينيين العاديين ..

كانوا من الصينيين الزنوج !

و هذه الليلة بالذات كانت قاعة المقامرة بنادى الملكة مكتظة بالرواد ، على راسهم القائد العام (بيل تمبلار) ، ومستر (سترانجوايز) ، رئيس فرع المخابرات ، الذى لم يلبث ان غادر القاعة ، تاركا (بيل) مع رجلين آخرين ، يتجاذبون اطراف الحديث ، فى انتظار عودته ، حيث انطلق هو عائدا إلى مكتبه ، لانجاز بعض الأعمال العاجلة ، وليبرق ببعض الأخبار الهامة إلى القيادة ، ويتلقى تعليمات مسئولى القسم الثالث فى (لندن) ، الذين ينتظرون اتصالاته اللاسلكية الليلة هذه بفارغ الصبر ..

وكانت هذه عادة من عادات (سترانجوايز) الثابتة : ان يغادر نادى الملكة فى تمام السادسة والربع ، فينطلق بسيارته لعشر دقائق ، حتى يبلغ ڤيلته الأنيقة وسط جبال (كينجستون) الزرقاء ، والتى تطل على الميناء ، وهناك تستقبله سكرتيرته الآنسة (مارى تروبلود) ، فى حجرة خاصة ، يوصدانها خلفهما فى إحكام ، ثم تجلس (مارى) امام لوحة كهربية ، تمتلىء بالأزرار والأرقام ، ويضع

(سترانجوايز) سماعة خاصة على اذنية ، وبمعاونة (مارى) ، يرسل رسائله اللاسلكية اليومية إلى رؤسائه ..

و (سترانجوايز) هذا من القلائل الذين اشتهروا بالحزم والصرامة ، والمقدرة الفذة على مجابهة اعتى الامور ، بالإضافة إلى قبضته الفولاذية ، وكان فارع الطول ، نحيفا ، تخفى عينه اليمنى عصابة سوداء كبيرة ، وهو سريع الحركة ، دقيق الملاحظة ، حاضر البديهة ، وكان عقله منشغلا فى تلك الفترة بالمهمة التى أسندها إليــه مستر (م) ، مدير المخابرات ، منذ اسبوعين ..

ولقد نجح (سترانجوايز) خلال هذين الأسبوعين فى إماطة اللثام عن الكثير من الظلام والغموض فى القضية ، وكشف اشـياء بالغــة الخطورة ، عن المجتمع الصينى ، الذى يحيــا فى المدينة ، ويسيطر عليهــا ..

وفى ذلك اليــوم ، لمح (سترانجوايز) المتسولين الثلاثة ، وهو يتجه إلى ســيارته ، المتوقفة امــام النادى، وادرك ببديهته انهم سيعبرون به فى سيرهم، فاخرج من جيب سترته قطعة كبيرة من النقــد ،

القاها فى الطبق النحاس الذى يمسك به اولهم ، نغمغم المتسول :

ــ فليباركك الله يا سيدى .

اتجه (سترانجوايز) فى سرعة نحو سيارته ، وهو يلقى نظرة دهشــة اخيــرة على المتسولين الثلاثة ، وبدت له طرقات عصــيهم ، وهى تضرب الإفريز ، اشبه بطنين عجيب ..

ونجــاة ، اســتدار المتسولون الثلاثة فى سرعة خاطفة ، وتراجع اثنان منهما إلى الخلف ، وبرزت مسدساتهم ، وكل منها مصوب نحو نقطة محدودة من العمود الفقرى لـ (سترانجوايز) ..

وانطلقت ثلاث رصاصات ..

وانتفض جسد (سترانجوايز) فى عنف ، والقت به الضربة إلى الأمــام ، واسقطته فى قــوة عنــد الإفريز ، فى اللحظة التى أشارت فيهــا عقــارب الساعة إلى السادسة وسبع عشرة دقيقة تماما ..

وبسرعة انطلقت سيارة كبيرة من جانب الطريق، وحمل راكبوها ، مع المتسولين الثلاثة ، جســد (سترانجوايز) ، فى سرعة مذهلة ، والقوه داخل

صندوق كبير ، إلى جوار المقعد الخلفى ، وأحاط المتسـولين الثلاثة بالصندوق ، وأخفوا جثـة (سترانجوايز) بأرديتهم السوداء ، ووضعوا على رءوسهم قبعـات سـوداء ، وهم يلقون بعصيهم جانبا ..

والتفت زعيم القتلة إلى السائق الصينى ، الذى تبدو عليه العصبية ، وقال بصوت جهورى آمر :

ـ انطلق بأقصى سرعة .

وتطلع إلى ساعته ، مردفـا والسيارة تنطلق كالصاروخ :

ـ تم قتل الرجل فى الموعد المحدود تمامـا ، ولم تستغرق العملية أكثر من ثلاث دقائق .

وانطلقت السيارة نحو الجبال الزرقاء ..

* * *

تطلعت (مارى تروبلود) إلى سـاعة يدها فى قلق ، وهى تعبث فى أزرار اللوحة الكهربية الكبيرة ، فقد تخطت عقارب السـاعة السادسة وثمـانى وعشرين دقيقة ، أى أن (سترانجوايز) قد تأخر ـ لأول مرة ـ عشر دقائق كاملة ، إلا أنها لم تلبث أن لمحت أنوار سيارة تقترب ، فتنهدت فى ارتياح ..

ها هوذا فى طريقه إليها ..

أسرعت تلتقط سماعته الخاصة ، وتضعها على مقعده المجاور لمقعدها ، توفيرا للوقت ، وتطلعت مرة أخرى إلى ساعتها فى توتر ، فسيبدأ الاتصال بينها وبين (لندن) بعد ثوان ، وهى لا تدرى ماذا تفعل ، لو لم يصل (سترانجوايز) فى موعده ، فلو أنها حاولت الرد بصفته ، لانكشـف أمرهـا على الفور ، ولتصور الرؤساء فى (لندن) أن مكروها قد أصاب (سترانجوايز) ، وأن الذى يتراسل معهم هو أحد الأعداء ..

وفى السادسة والنصف تماما ، ومع بدء الاتصال ، سمعت (مارى) وقع أقـدام تقتـرب ، فتنهدت فى ارتياح ، وهى تسمع (لندن) تقول :

ـ هل تسمعنى ؟.. هل تسمعنى ؟

اقترب وقع الأقـدام من الحجرة فى سرعـة ، وأجابت (مارى) :

ـ نعم .. أسمعك بوضوح تام .. أكرر .. أسمعك بـ ..

بترت عبارتها بغتة ، عندما سقطت ضربة قوية على كتفها ، واستدارت فى هلع ، فوقع بصرها على

رجل ضخم ، يسد باب الحجرة ، ويمسك بيده مسدسا ضخما ..

ولم يكن هذا الرجل هو رئيسها (سترانجوايز) ، بل كان صينيا من الزنوج ..

واطلقت (مارى) صرخة مدوية ، ابتسم لها الصينى ابتسامة عريضة هادئة ، واطلق نحو صدر (مارى) ثلاث رصاصات ، سقطت إثرها الفتاة جثة هامدة ، وسقطت السماعات عن أذنيها ، وارتفعت منها همهمة غامضة ، توقفت فى سرعة ، مع اشتعال مصباح احمر خاص ، يشير إلى حدوث أمر ما فى المحطة الخاصة ..

وبكل الهدوء والاطمئنان غادر الصينى الحجرة ، وعاد إليها حاملا كيسا كبيرا ، دفع داخله جثة الفتاة ، وسحبه إلى ردهة الفيلا ، ثم عاد مرة ثالثة ، وفتح خزانة كبيرة فى ركن الحجرة ، واخرج منها كتب الشفرة ، القاها وسط الحجرة ، ثم انتزع الستائر ، وغطى بها كومة الكتب التى صنعها ، ورص حولها عدة أصابع من الديناميت ، ثم أشعل النار فى أثاث الفيلا ، وفتح بابها على مصراعيه ، ليسمح للهواء بالتدفق داخلها ، وسحب الكيس الذى

يحوى جثة (مارى) إلى الخارج فى هدوء ، فتقدم منه زميلاه ، وحملا الكيس ، والقياه فوق جثة (سترانجوايز) ، وانطلقت بهم السيارة مبتعدة ، ومن خلفهما اشتعلت النيران فى الفيلا ..

وعندما غاصت جثتا (ستراجوايز) و (مارى) فى اعماق نهر (موناريزير فوار) ، إلى الأبد ، كانت النيران قد التهمت فى شراهة كل اوراق الخدمة السرية فى البحر الكاريبى ..

وكانت الجريمة قد نجحت تماما ..

* * *

٢ ـ رقم (٠٠٧) ..

جاء شهر مارس بعد ثلاثة اسابيع من هذا الحادث، حاملا معه ابشع عاصفة جليدية شهدتها (لنـدن) منـذ سنوات طـوال ، وعلى الرغم من البرودة الشديدة ، توقفت سيارة (رولزرويس) كبيرة امام مبنى ضخم ، فى ساحة (ريجنت) ، وهبط منها مستر (م) ، مدير المخابرات البريطانية ، وحبات الثلج تتساقط على وجهـه فى عنف ، وبدلا من ان يحتمى منها بدخول المبنى ، راح يتحدث مع سائق سيارته فى هدوء ، ويطلب منه ان ينصرف باقى اليوم ، ثم اتجه إلى المبنى ، وحمله المصعد إلى مكتبه فى الدور الثـامن ، حيث جلس اخيرا خلف مكتبه المكدس بالأوراق ، داخل حجرته الدافئة ، وضـغط زرا صغيرا امامه ، وهو يقول :

ـ اريد كل البرقيات أولا يا مس (مونبنى) ، وبعدها اتصلى بسير (جيمس مولونى) فى (سان مارى) ، وابلغى مدير المستخدمين اننى اريد مقابلة رقم (٠٠٧) بعد نصف سـاعة ، واحضرى ملف (سترانجوايز) .

لم تمض إلا لحظات حتى كانت سـكرتيرته مس (مونبنى) امامه ، حاملة مجموعة ضخمة من البرقيات ، والملف المطلوب ، وبعدها اضىء مصباح اصفر صغير على جهاز امامه ، فالتقط سماعة هاتفه ، وقال :

ـ مرحبـا يا سير (جميس) .. الديك خمس دقائق اليوم ؟

اجابه (جيمس) :

ـ بل سـت من اجلك .. اتريد منى ان اراقب وزيرا من وزراء صاحبة الجلالة ؟

ابتسم (م) ، وقال :

ـ لا .. ليس اليـوم .. إننى اتحـدث إليك بشأن الرجل الذى افرجت عنه أمس ..

هل يصلح للعمل مرة أخرى ؟

اجابه (جيمس) فى حماس :

ـ بالتأكيد .. لقـد شفيت ساقه ، وهو الآن سليم معافى ، ولكن الواقع انك ترهق رجالك كثيرا يا مستر (م) ، وينبغى ان تمنح ذلك الرجل عمـلا بسيطا هذه المرة ، فلقد علمت انه قد تعرض لأزمات مخيفة فى الأعوام السابقة .

زمجر (م) ، وهو يقول :

ـ إنه يحصل على اجر مرتفع ، ولن يكون اول من حطمته المخـاطر ، ثم إنه ما زال يحتفظ بكل

قوته .. لقد أرسلت إليك رجالا اجتازوا الاهوال ، وفقد بعضهم كل شىء ، فى حين انتصر الآخرون بكل جدارة .

قال (جيمس) فى ضيق :

ـ من السهل ان تتحدث هكذا ، وانت بعيد عن الالم ، ولكن رجلك هذا تعرض لأبشع الوان الالم والعذاب ، ولا تتصور ان هذا لم يحدث ، لمجرد انه لم يفقد ضلعا او طرفا من اطرافه ، فلقـد تعرض لآلام لا توصف .

غمغم (م) :

ـ هذا صحيح ، ولكن (بوند) يعمل بتهور ، ولابد ان يدفع ثمن تهوره هذا .

ولما لم يكن يميل إلى ان يلقى الآخرون نصائحهم على اذنيه ، خاصة ولو كان هؤلاء الآخرون ، مثل سير (جيمس مولونى) ، اعظم اطباء (إنجلترا) ؛ لذا فقد ابدل الحديث فى سرعة ، مستطردا :

ـ هل سمعت عن رجل يدعى (بينزستينكرون)؟
ـ لا .. من هو ؟.

ـ إنه طبيب امريكى ، وضـع كتابا عن مـدى احتمال الجسد البشرى للتعذيب ، وقد ارسل إلى

رجالنا فى (واشنطن) نسخة من هذا الكتاب ، وهو يحوى قائمة بالأعضاء التى يمكن ان يتخلى عنهـا جسم الإنسان ، ويعمل بدونها .

والتقط من جيب سـترته ورقة ، تابع وهو يقرأ محتوياتها :

ـ ها هى ذى القائمة : الحويصلة الصفراء ، والمرارة ، واللوزتان ، والزائدة الدودية ، والطحال ، وإحدى كليتيه ، وإحدى رئتيـه ، ولتران من الدم ، وخمسان من الكبد ، وجزء ضخم من المعدة ، ومتر ونصف من الأمعاء ، وفص امامى من المخ .

قال (جيمس) فى حيرة :

ـ ولمـاذا لم يضف ذراعا او ساقا ؟.. الواقع أننى لست أفهم ما ترمى إليه من سرد ذلك !!

أطلق (م) ضحكة طويلة ، وقال :

ـ لست أستهدف شـيئا يا سير (جيمس) ، إنها مجـرد قائمة طريفة لفتت انتباهى .. المهم أن رجلنا قد نجا بأعجوبة مما لاقاه من تعذيب ، وحاول أن تحتفظ بالسر ، فقد نويت إسناد مهمة بسيطة إليه بالفعل فى (جامايكا) ، واظنه سيقضى وقتـا

طيبا هناك ، يستريح فيه من معاناته السابقة ، تحت شمس (جامايكا) الدافئة .. ما رأيك فى هذا ؟

اجابه (جيمس) فى حذر :

ـ لست احب التدخل فى عملك يا مستر (م) ، ولكن حتى الشجاعة لهـا حدودها ، وانت تعامل رجالك كمـا لو كانوا من الخارقين ، ولست أظنك ترغب فى رؤيتهم ينهـارون فى اللحظة الأخيرة .. صحيح أن رجلك هذا من الطراز الفذ ، ويمكنك أن تحصل منه على المزيد ، حتى بوضعه الحـالى ؟ ولكنك تذكر بالطبع ما قاله (موران) ، فى كتـابه الطبى الجديد ، عن مدى احتمال الجسد البشرى للتعذيب ، ومدى شجاعته .

غمغم (م) :

ـ لا .. لست أذكر شيئا من هذا .

اجابه (جيمس) :

ـ إنه يقول إن الشجاعة هى رأس مال الرجل ، تستهلكها كثرة استخدامها ، ويبـدو أن رجلك قـد استنفد معظم شجاعته قبيل الحرب .. صحيح أنه ما يزال شجاعا صنديدا ، ولكن لكل شىء حدوده .

لم ير (جيمس) ابتسامة (م) الغامضة ، وهو يقول :

ـ لهذا السبب بالذات أرسله لقضاء إجازته فى (جامايكا) .. وبالمناسبة ، هل أمكنك كشف طبيعة تلك المادة ، التى دستها له الجاسوسة السلافية ؟

اجاب سير (جيمس) :

ـ لقد فعلنا هذا أمس فقط ، وبعد ثلاثة أشهر من البحث المتواصل ، بفضل طالب طب موهوب ، أمكنه كشف سر تلك المـادة المخدرة السامة ، التى يستخدمها الجواسيس اليابانيون للانتحار ، والتى لجأت إليها تلك الدولة السلافية ، للقضاء على عملاء الدول الأخرى ، وهذا السم يشل المراكز العصبية فورا ، ويحمل الاسم العلمى (تترودوتوكسين) ، وهو سم زعاف ، يؤدى إلى ازدواج بصرى سريع ، ثم فقدان القدرة على الرؤية ، فالموت بسبب شلل تام فى الجهاز العصبى .

هتف (م) :

ـ إذن فقد نجا رجلنا من الموت باعجوبة .

ـ بل قل معجزة ، لقد كانت فرصة نجاته واحدا فى المليون ، لولا أن اسعفه زميله بهذه السرعة ،

وراح يبقيه بالتنفس الصناعى ، حتى وصل الطبيب .. وبالمناسبة ، ماذا اصاب تلك الجاسوسة السلافية ؟

— لقد ماتت ، ولا تخش على مريضك ، فسيكون موضع رعايتنا وعنايتنا .. إلى اللقاء .

لم يكد (م) ينهى المحادثة ، حتى تجهم وجهه ، وراح يفحص البرقيات والأوراق العاجلة فى ضجر ، ويوزعها على خانات خاصة بالمكتب ، حتى لم يتبق امامه سوى ملف كبير ، يحمل باللون الأحمر عبارة (سرى جدا) ، وباللون الأسود فى منتصفه (قسم البحر الكاريبى) ثم فى اسفله ، وبحروف صغيرة للغاية : (سترانجوايز) و (تروبلود) ، وفجأة سطح مصباح صغير امامه ، فضغط (م) زرا خاصا ، وقال :

— اهو رقم (٠٠٧) ؟

اجابته سكرتيرته :

— إنه هو يا سيدى .

قال فى اهتمام :

— دعيه يدخل على الفور ، واطلبى من خبير الاسلحة الحضور بعد خمس دقائق .

اعتدل فى مجلسه ، عندما دلف (جيمس بوند) إلى حجرته ، وهو يقول :

— صباح الخير يا سيدى .

— صباح الخير يا (٠٠٧) .. اجلس .

اتخذ (بوند) مقعدا وثيرا ، يواجه مستر (م) ، الذى بدا هادئا صامتا ، يتأمل (جيمس بوند) بنظرة فاحصة ، وينفث دخان غليونه الكثيف ، قبل ان يقول :

— كيف حالك الآن يا (بوند)

— بخير حال يا سيدى ، ومن حسن الحظ اننى هنا الآن ، لأجيب السؤال .

— ما رايك بشأن مهمتك الأخيرة ؟.. الديك معلومات جديدة ؟

— لا يا سيدى ، والواقع اننى الملوم بالنسبة لما اصابنى ؛ لاننى سمحت لتلك المرأة بالتغلغل فى حياتى ، على عكس قواعد العمل المعمول بها فى مهنتنا .

— اعلم ان مسدسك قد تعطل ايضا يا (٠٠٧) .. قل لى : هل تحب ان تتخلى عن ذلك العمل الشاق ، وتعود إلى الخدمة العامة .

ألقى عليه (بوند) نظرة ساخطة ، فالرقم الذى يحمله ، مع صفرين إلى يساره ، رقم خاص ، يندر

ان يحوز مثله رجل مخابرات فى مثل عمره ؛ لذا فقد غمغم :

— لا يا سيدى .. لست احب العودة إلى الخدمة العامة .

— لابد أن تبدل مسدسك إذن .

— ولكننى اعتدت مسدسى يا سيدى ، وما اصابه يمكن ان يحدث لأى مسدس .

— لست أوافقك على هذا .. ثم إن هذا أمر .. المهم هو ما النوع الآخر الذى تفضله ؟

ودون أن ينتظر جوابا من (بوند) ، ضغط زر جهاز الاتصال ، يسال سكرتيرته :

— هل وصل خبير الأسلحة ؟.. دعيه يدخل على الفور .

وعاد يلتفت إلى (بوند) ، مستطردا :

— الماجور (بوثرويد) هو أعظم خبراء السلاح لدينا ، وستدهشك خبرته حقا .

لم يكد يتم حديثه حتى دلف إلى الحجرة رجل قصير ، ألقى التحية على مستر (م) فى احترام ، فقال الآخر بعد إجابة التحية :

— قل لى أيها الخبير : ما رأيك فى (البيريتا) عيار ٢٥ ؟

— إنه مسدس للسيدات يا سيدى .

ابتسم (م) وهو يلقى نظرة خبيثة على (بوند) ، وقال :

— عجبا ! .. ما الذى يدعوك إلى هذا القول ؟

— السلاح السهل الاستعمال إلى هذا الحد ، لا يصلح إلا للسيدات .

— وماذا لو اضيف إليه كاتم للصوت ؟

— سيبقى بنفس سهولته يا سيدى ، ثم إننى لا انصح باستخدام كواتم الصوت ، فهى ثقيلة ، وقد تعلق بجيبك ، وانت فى عجلة من امرك ، وعموما لست احبذ استخدام (البيريتا ٢٥) ابدا .

التفت (م) إلى (بوند) ، وقال :

— هل من تعليق يا (٠٠٧) ؟

هز (بوند) كتفيه ، وقال فى عناد :

— بل اكثر من تعليق يا سيدى . لقد استخدمت هذا السلاح خمسة عشر عاما ، دون ان يصاب بأى عطل ، أو ينحرف عن هدفه قط ، والمشكلة اننى قد اعتدت استخدام هذا النوع بالذات ، على

الرغم من استعمالى لعدة أسلحة أكبـر ، وما زلت افضل (البيريتا ٢٥) ، وإن كنت اوافق على كون كواتم الصوت ثقيلة ومزعجة ، ولكن المرء يضطر كثيرا لاستخدامها .

اجابه (م) فى صرامة :

— تغيير السلاح يحتاج إلى تمرين ، ولكن المرء لا يلبث ان يعتاد سلاحه الجديد .. ثم إن هذا قرار نهائى .. هيا .. قف ؛ ليلقى عليك خبير الأسلحة نظرة فاحصـة ، يحدد لك بعدها السـلاح الذى تستخدمه .

نهض (بوند) فى مواجهة القصير ، الذى دار حوله فى اهتمام ، وقال :

— دعنى أرى سلاحك وغمده .

ناوله (بوند) مسدسـه ، وجرابه الذى يعلق أسفل إبطه ، وفحصهما الخبير فحصا دقيقا ، قبل ان يقول لـ (م) :

— اظننى استطيع اختيار السـلاح المناسب له يا سيدى .

سأله (م) فى اهتمام :

— حسنا .. ماذا تقترح ؟



نهض (بوند) فى مواجهة القصير ، الذى دار حوله فى اهتمام ، وقال :

— دعنى أرى سلاحك وغمده ..

اجابه الخبير :

ـ بعد فحص ما يقرب من خمسة آلاف نوع من الاسلحة الصغيرة ، بدا لى ان افضلها هو السلاح المعروف باسم (ولثر ٧٫٦٥ مليمتر) ، ولقد صنع بعد السلاح اليابانى (م ـ ١٤) ، والروسى (توكاريف) .. وهو خفيف الزناد ، يناسب كتف رقم (٠٠٧) تماما ، ويزيد وزنه عن (البيريتا) قليلا ، ويمكنك الحصول على ذخيرته من اى مكان فى العالم .. إنه السلاح المثالى .

التفت (م) إلى (بوند) ، يساله :

ـ هل من ملاحظات ؟

اجابه (بوند) :

ـ إنه سلاح ممتاز يا سيدى .. ترى ما راى خبيرنا ، بالنسبة لحمله ؟

قال خبير الاسلحة :

ـ يمكنك تعليقه اسفل كتفك اليسرى مباشرة ، بحيث تستطيع انتزاعه فى جزء من الثانية ، عند الخطر المفاجىء ، وفى ثلاثة اخماس من الثانية ، يمكنك قتل رجل يقف على قيد سبعة امتار .

ساله (م) :

ـ الا يوجد سلاح اكبر قليلا ؟

ـ واحد فقط يا سيدى ، من طراز (سميث ووسون) ، عيار ٣٨ ، طوله ١٥ سم ، ويزن ما يقرب من ثلثمائة جرام ، ويتسع لخمس رصاصات فقط ، لابد ان تكون قد تجاوزت مرحلة الخطر تماما ، قبل ان تنفد هذه الرصاصات الخمس ؛ لأن تعبئته مرة اخرى تحتاج إلى وقت اطول مما ينبغى فى لحظات الخطر ، ولكنه لا يلتصق بالملابس ابدا ، و ...

ـ حسنا .. حسنا .. إننى افضل (سميث ووسون) هذا .. ارسل مسدسا من هذا النوع إلى (٠٠٧) ، وقم بتدريبه على استخدامه اليوم ، وشكرا لك يا ماجور .

غادر خبير الاسلحة الحجرة ، مخلفا صمتا رهيبا ، تقطعه تساقط حبات المطر على زجاج المكتب ، و (بوند) يسترجع ذكرياته مع مسدسه ، الذى لازمه طيلة خمسة عشر عاما ، انقذ حياته خلالها عشرات المرات ، وكان له نعم الصديق المخلص ، الذى يلازمه فى اوقات الشدة ، وراح يفكر فى كل من ارداهم هذا المسدس ، من رجال ونساء ، فى ظروف قاهرة ، حتى قطع (م) افكاره ، قائلا :

— معذرة يا (بوند) .. اعلم كم تحب سلاحك هذا ، وكم تربطك به من ذكريات ، ولكن حان وقت تقاعده ، وخذهـا منى قاعدة .. لا تقـامر ابدا بسلاحك ، ولا تمنحـه فرصـة ثانية ، كمـا اننى لا أستطيع المقـامرة برجـالى ، فى القسـم ذى الصفرين ، وانت تدرك هذا .

— ادركه يا سيدى ، ولست اناقش الأمر ، ولكن يؤسفنى بالطبع ان ارى سلاحى يذهب .

— لن نطيل فى الحديث عنه إذن ، فلدى أمر اكثر اهمية .. مهمة فى (جامايكا) .. مجرد إجراءات عادية ، تكتب عنهـا بعض التقارير .. ستفيدك شمس الكاريبى كثيرا ، وستكون إجازة ممتعة .. هل يروق لك هذا النوع من العمل ؟

درس (بوند) الأمر فى ذهنه لحظة ، وقال :

— تبدو لى مهمـة روتينية عادية يا سيدى ، ولكن لو ان هذه إرادتك فسوف ..

قاطعه (م) فى صرامة :

— نعم .. إنها إرادتى .

ولم يعد هناك مفر من قبول المهمة ..

* * *

٣ – چوليوس نو ..

انتشر الظـلام والبرد خـارج مبنى المخابرات البريطانية ، وضغط (م) زرا كهربيـا ، اضيئت الحجرة بعده بضوء اصـفر ، انعكس على المكتب المبطن بجلد احمر ، فبدا اشـبه بقطعة من الجمر الملتهب ، وهـو يـنـاول (بوند) ملفا يحمل اسمى (سترانجوايز) و (تروبلود) ، وهو يقول :

— لقد ارسلت فى طلب رئيس المكتب ، فهو يعلم اكثر كل تفاصيل تلك القصة المثيرة العنيفة .

لم تمض إلا لحظات حتى حضر الكولونيل رئيس المكتب ، وصافح (بوند) فى حرارة ، لمعرفتهمـا السابقة ، ثم اشار إليـه (م) بالجلوس ، وهو يقول :

— لقد اسندت قضية (سترانجوايز) إلى رقم (٠٠٧) ، وعلينـا ان نمهد للأمر ، قبل تعيينـه فى موضع الأول ، واريد ان يتسـلم (٠٠٧) منصب رئيس قسم الكاريبى خلال اسبوع واحد .. والآن هيا ندرس القضية .. اظنك تعرف (سترانجوايز) يا رقم (٠٠٧) ، فلقد عملتما معا فى قضية الكنز ، منذ خمسة أعوام ، فماذا كان رايك فيه ؟

ـ كان رجلا عظيما يا سيدى ، من طراز رفيع ، وكنت اظنكم قد استبدلتم به غيره ، فخمس سنوات فى المناطق الحارة فترة طويلة للغاية .

ـ دعك من هـــذا ، واخبرنى بانطباعاتك عن مساعدته (مارى تروبلود) .. هل تعرفتها ؟

ـ لا يا سيدى .

ـ ليس لدينا ما يدينها ، فهى جميلة ، وربما كان جمالها هو سبب هذه الجريمة ، قل لى ، هل كان (سترانجوايز) من ذلك النوع المغرم بالنساء ؟

بدا (بوند) شديد الحرص ، وهو يقول :

ـ من يدرى ؟.. ولكن ماذا اصابهما يا سيدى ؟

ـ هذا ما نبحث عنه .. لقد اختفى الاثنـــان فجأة ، وبدون سابق إنذار ، منـــذ ثلاثة اسابيع ، ودمرت النيران فيـــلا (سترانجوايز) ، ومحطـــة الإرسال ، وكتب الشفرة كلها ، ولقد عثرنا وسط الأطلال الباقية على جواز سفر الفتاة ، ولكن هـــذا لا يعنى شيئا ، فمن السهل ان يقوم (سترانجوايز) بتزوير جوازى سفر ، فهو رئيس مكتب الجوازات بالجزيرة ، وربما هرب مع الفتاة إلى امريكا الجنوبية مثلا .. وعلى اية حـــال ، ما زال رجال الشرطة يفحصون قوائم جوازات السفر ، دون أن يسفر

هـــذا عن شىء ، ولابد أنهما فرا بعـــد ان صبغت الفتـــاة شعرها ، وابدل (سترانجوايز) هيئته ، فلا يمكنك الاعتماد على وسائل الأمن ، فى مطارات تلك الجزر .. اليس كذلك يا رئيس المكتب ؟

وافقه رئيس المكتب بإيماءة من راسه ، وقال :

ـ بلى ، ولكن ما الذى يعنيه ذلك الاتصـــال الأخير ؟

ودون أن ينتظر جوابـــا لسؤاله ، التفت إلى (بوند) ، مستطردا :

ـ لقـــد بدأا اتصـــالهما بنا فى تمـــام السادسة والنصـــف بتوقيت (جامايكا) كالمعتـــاد ، ويؤكد خبراؤنا ان الفتاة هى التى بدأت الاتصال هـــذه المرة ، ثم اختفت بغتـــة ، وحاولنـــا بعدها إعادة الاتصال مرات ومرات ، ولكن بدا من الواضح أن امرا غير طبيعى يحدث هناك ، دون أن نتلقى ردا على إشاراتنا الحمراء والزرقاء ، وعلى الفور طار رقـــم (٢٥٨) من (واشنطن) إلى (جامايكا) ، ولكن البوليس كان قد سبقه إلى هناك ، واكد حاكم الجزيرة أن (سترانجوايز) كان يقع فى مشـــاكل عاطفية ، من آن إلى لآخر ، واستكان إلى ما استنتجه من هـــذا ، دون أن يبذل مزيدا من التحريات ، فى

حين قضى رقم (٢٥٨) أسبوعا كاملا هناك ، دون أن يجد دليلا واحدا جديدا ، فكتب تقريره ، وعاد إلى (واشنطن) ، وبعدها لم تتقدم الشرطة على جديد ، ويمكننا أن نتفق مع الحاكم فى استنتاجه ، ولكن انقطاع الإرسال المفاجىء يقلقنى ، فلست أجد رابطا بين فرار عاشقين ، وانقطاع الاتصال اللاسلكى على نحو مباغت ، أضف إلى هذا أن (سترانجوايز) بدا طبيعيا وللغاية ، وهو يغادر النادى فى موعده المعتاد ، طبقا لأقوال أصدقائه ، ثم إنه قد اختفى تاركا سيارته أمام النادى ، ولو أنه ينتوى الفرار بالفعل ، فلماذا لم يؤجل هذا حتى الصباح ؟ أو حتى وقت متأخر من الليل ، بعد أن يؤدى اتصاله المعتاد ؟.. الواقع أن الأمر يبدو لى شديد التعقيد ، على نحو يثير الحيرة .

أجاب (م) فى صرامة :

ـ كل المحبين يقترفون أخطاء جسيمة ، تشف عن الغباء ، والجنون فى بعض الأحيان ، وإلا فهل لديك تعليلات أخرى ؟.. بالنسبة إلى لست أجد دافعا واحدا للفرار على هذا النحو ، باستثناء الدافع النسائى ، فقسم الكاريبى هذا محط أنظار الدول الأخرى ، إذ يسهل الاختفاء فيه ؛ لبعده عن

(لندن) ، ولم يقم (سترانجوايز) بأى عمل كبير ، منذ كان رقم (٠٠٧) هناك .

ثم التفت إلى (بوند) ، يسأله :

ـ ما رأيك بعد كل ما سمعته ؟

ـ صحيح أنه لا يوجد سبب منطقى لفرار (سترانجوايز) على هذا النحو ، ولكننى لا أجرؤ على اتهامه بالتورط فى مشكلة غرامية ، فالخدمة كانت دائما حياته كلها ، ولن يقدم على خيانتها ، مهما كانت الأسباب ، ولو أنه أراد الاعتزال ، لسالك أن ترسل من يحل محله ، ومن العسير أن أصدق فراره لأى سبب .

ـ شكرا يا رقم (٠٠٧) .. لقد دارت الأفكار نفسها فى رأسى أيضا ، فليس من المفضل أن يقفز المرء إلى النتائج ، دون أن يزن الاحتمالات كلها .. هل لديك رأى آخر إذن ؟

قال هذا وتراجع بمقعده منتظرا ، فقد كانت هذه القضية تقلقه ، وسط عشرات المشاكل الأخرى ؛ لذا فقد قرر إسناد المهمة إلى (بوند) ، لينطلق إلى (جامايكا) ، ويضع حدا للحيرة ، ولما لم يجد جوابا من (بوند) ، تمتم فى حزم :

ـ حسنا .

اجاب (بوند) فى حرص ، ما دام الحديث يدور حول صديقه (سترانجوايز) :

ــ ما آخــر قضية عمل بهــا (سترانجوايز) يا سيدى ؟.. هــل اطلعكم على أمر ما ، او كلفه القسم الثالث البحث عن شىء محدود فى الشهور الماضية .

هز (م) رأسه ، وقال :

ــ لا شىء مطلقا .

اسرع رئيس المكتب يضيف :

ــ باستثناء قضية الطيور .

تمتم (م) فى لا مبالاة :

ــ إنها قضية لا صلة لها بموضوعنا ، كلفتنا إياها حدائق الحيوان حسبما اذكر .

قال رئيس المكتب :

ــ لا يا سـيدى .. بل جماعــة (أودبون) الأمريكية ، التى تسعى لحماية الطيور النادرة من الانقراض ، ولقد وصلنا الطلب عن طريق سفيرنا فى (واشنطن) .

سأله (بوند) فى اهتمام :

ــ اذكر لى طرفا من أعمال جمعية (أودبون)

هــذه يا سيدى ، وأخبرنى ما الذى طلبــوه منــا بالضبط ؟

اجابه الرجل :

ــ القصة كما نقلناها إلى (سترانجوايز) ، فى العشرين من يناير المــاضى ، هى انه هنــاك طائر يعرف باسم (اللقلق الملعقى) ، ولدينا هنا صورة له ، وهو على هيئة طائر عريض المنقار ، يحفــر الطين بمنقاره القبيح ، ولقد بدأ هــذا الطائر فى الانقراض منذ الحرب العالمية الثانية ، حيث لم يزد عدد الموجود منــه على مائتى طائر ، معظمهــا فى (فلوريدا) وحولها ، ثم ابلغ شخص ما عن وجود مستعمرة كاملة منه فى جزيرة تدعى (كراب كى) ، بين (جامايكا) و (كوبا) ، وتم العثور على الطيور بالفعل ، وتبين أن الجزيرة مهجورة منذ ما يزيد على الخمسين عاما ، فاستأجرت جماعة (أودبون) ركنا من الجزيرة ؛ لحماية هذه الطيور ، وعينت حارسين لحمايتها ، واقنعت شركات الطيران بالامتنــاع عن التحليق فوقها خشية انزعاج الطيــور وفرارها ، فازدهرت المزرعة ، وبلغ عدد الطيور ما يربو على خمسة آلاف طائر ، ثم جاءت الحرب ، وارتفع ثمن الجزيرة ، واقتنع احــد الشبان الأذكيــاء حكومة

(جامايكا) ببيعها ، واشتراها ببضعة آلاف من
الجنيهات ، بشرط ألا يعكر صفو الركن الذى
استأجرته جمعية (أودبون) ، وكان هذا عام
١٩٤٣ ، وبعدها أحضر الشاب عددا من العمال ،
وراح يعمل فى الجزيرة بكل همة ونشاط .

سأله (بوند) :

— ومن هذا الشاب ؟

— رجل نصف ألمانى ونصف صينى ، يطلق
على نفسه اسم دكتور (نو) ، واسمه الكامل
هو (جوليوس نو) .

— ألديك شىء عنه ؟

— إنه يحتفظ بكل شىء سرا ، ولم يره مخلوق
واحد ، منذ اشترى الجزيرة ، وسارت الأمور على
نحو هادىء ، لا يلفت انتباه أحد ، حتى عيد الميلاد
السابق ، عندما عاد أحد حارسى ركن جمعية
(أودبون) إلى ساحل (جامايكا) بقارب صغير ،
وقد احترق معظم جسمه ، ومات بعد أن ذكر قصة
عجيبة خرافية ، حول تنين هاجم المعسكر ، وأمطره
نيران من فمه ، وقتل زميله ، وحرق المعسكر ، وكل
أعشاش الطيور النادرة ، وأنه هو قد نجا من الموت
بأعجوبة ، وراح يسبح بقارب صغير طيلة الليل ،

حتى بلغ الساحل .. ولقد تم إرسال تقرير بهذا
إلى جمعية (أودبون) ، فرفضت الاقتناع بالقصة ،
وأرسلت اثنين من رجالها الأشداء ؛ للتحقيق فى
الأمر ، ولكن طائرة الرجلين سقطت فى أثناء هبوطها ،
وتحطمت ، ولقيا مصرعهما ، وأثار الأمر غضب
وحفيظة محبى الطيور ، وأمكنهم الحصول على إذن
خاص بالاتصال بدكتور (نو) ، الذى استقبل
مندوبهم بحفاوة بالغة ، وأبعده عن منطقة عمله ،
وصحبه إلى موضع سقوط الطائرة ، التى تحولت
إلى فتات ، فاصطحب المندوب جثتى الرجلين عائدا
إلى بلاده ، فى احتفال مهيب ، جعل المندوب يشيد
لدى عودته بكرم دكتور (نو) وحفاوته ، واقتنع
تماما بتفسير دكتور (نو) حول حادث المعسكر ،
حيث استنتج (نو) أن أحد الحارسين قد أصيب
بجنون مفاجىء ، جعله يقتل زميله ، ويشعل النيران
فى المعسكر ، وأصابته النيران وهو يسعى للفرار ،
وأكثر ما جعل التفسير يبدو منطقيا تلك البقعة
الرهيبة ، التى عاش فيها الحارسان قرابة عشرة
أعوام ، ولكن تقرير المندوب تضمن انخفاض عدد
الطيور إلى حد كبير ، ولم يكد هذا التقرير يبلغ

الجمعية ، حتى اتصل بنا مسئولوها وطلبوا منا تحرى الأمر ، فحولنا الموضوع برمته إلى (سترانجوايز) .. هذا هو كل شىء .

تطلع (م) إلى (بوند) ، وقال :

— ارأيت ؟.. إنها إحدى هوايات المتعطلين والمسنين ، الذين لا يتورعون عن الزج بالسياسيين وبنا فى المشاكل ، من أجل بعض الطيور النادرة والعجيبة ..

وصمت لحظة ثم اضاف :

— المشكلة ان الجزيرة ملك خاص ، وكل الجهات ترفض التدخل رسميا ، فما الذى يمكننا عمله ؟.. هل نرسل غواصة صغيرة إلى الجزيرة ، واحد رجالنا المدربين ، للبحث عما اصاب بضعة طيور ؟!

قال (بوند) :

— هل يمكننى قراءة ملف الطيور هذا يا سيدى ؟.. إننى اشعر بالحيرة ؛ لان اربعة رجال قد لقوا مصرعهم بسببها ، وربما نضيف إليهما (سترانجوايز) و (تروبلود) ايضا .. صحيح ان الفكرة قد تبدو سخيفة ولكن ..

قاطعه (م) فى ضجر :

— خذ .. ها هو ذا الملف ، فلدى يوم مثقل بالأعباء .

ثم أضاف فى صرامة ، عندما نهض (بوند) ملتقطا مسدسه الجديد :

— اترك هذا بدلا منه ، وستحصل بدلا منه على مسدسين جديدين ..

ولأول مرة فى حياته شعر (بوند) بالكراهية تجاه (م) ، وتساءل : لماذا يبدو هذا الرجل صارما عنيدا إلى هذا الحد ؟.. ولماذا يعاقبه لمجرد أنه قد عرض حياته للخطر فى مهمته الأخيرة ؟.. ألأنه تعرض لهذا بسبب استهتاره هذه المرة ؟.. أم .. بتر أفكاره ، التى بدت له عديمة الجدوى ، وأعاد مسدسه إلى مكتب (م) ، قائلا :

— كما تأمر يا سيدى .

وانطلق ليبدأ مهمته ..

* * *

٤ ـ صحفية ..

حلقت طائرة ضخمة ، من طراز (سوبركونستليشن) ، فوق أراضى (كوبا) الخضراء ، فى طريقها إلى (جامايكا) ، وراح (بوند) يتطلع إلى الجزيرة التى تبدو فى الأفق ، وإلى البحر المحيط بها ، بألوانه المتباينة ، ما بين الأزرق الداكن والسماوى الهادىء ، ثم لم يلبث ـ مع اقتراب الطائرة ـ ان لمح المبانى الصغيرة ، والغابة الكثيفة على الجزيرة ، التى اطلق عليها هنود قبائل (أراوك) القديمة اسم (أرض التلال والأنهار) ، وقد بدت له الجبال الزرقاء ، واضواء شارع (كنجستون) تتالق من خلفها ، وذلك الميناء الكبير المجاور للمطار ، والطائرة تهبط على ممر الهبوط ، المجاور للأبنية البيضاء الصغيرة ..

وفى المطار ، تطلع ضابط الجوازات إلى صورة (بوند) ، وإلى خانة العمل ، التى كتب فيها (تاجر استيراد وتصدير) ، وسأل (بوند) :

ـ فى اية شركة تعمل ؟

ـ الشركة العالمية للصادرات .

ـ وهل اتيت للعمل او لقضاء إجازتك ؟

ـ لقضاء إجازتى .

ـ ارجو لك إجازة سعيدة إذن يا سيدى .

تناول (بوند) جواز سفره ، واتجه نحو الحاجز الذى يفصل منطقة الجمارك عن المنطقة المدنية ، وهناك وقع بصره على رجل يرتدى نفس القميص الأزرق والسروال الكاكى ، اللذين رآه (بوند) يرتديهما منذ خمس سنوات ، فهتف :

ـ اوه .. (كواريل) .

ابتسم الرجل الفارع الطول ، ولوح بيده من خلف السور ، محييا (بوند) ، على طريقة الهنود الحمر :

ـ مرحبا يا كابتن .. كيف حالك ؟

اجابه (بوند) فى مرح :

ـ فى خير حال يا رجل .. سأنهى إجراءات الجمارك فى سرعة ، ثم الحق بك ..

انتهت الإجراءات الجمركية فى سرعة ، وراح (بوند) يصافح (كواريل) ، وهو يقول :

ـ لم تتغير كثيرا يا صديقى .. كيف صار امر صيد السلاحف ؟

ـ لا باس يا كابتن .. اخبـرنى .. هل كنت مريضا ؟

ـ هذا صحيح ، ولقد شفيت منـذ اسابيع ، ولكن كيف علمت هذا ؟

ـ معذرة يا كابتن ، ولكن وجهك يحمل آثار الم ، لم يكن هناك فى المرة السابقة .

ـ إنه امر بسيط يا (كواريل) ، وإن كنت احتاج إلى دوائك الخاص .

لم يكد يتم عبـارته حتى ظهرت بغتـة صحفية شابة ، التقطت لهما صـورة سريعـة ، قبل أن تتجه نحوهما ، قائلة :

ـ شكرا لكمـا .. انـا صحفية من جريدة (دايلى جليـنر) .. انت مسـتر (بوند) اليس كذلك ؟.. قل لى يا مستر (بوند) : كم ستمضى من الوقت هنا ؟

بدت تلك البـداية غير مبشرة بالخير ، بالنسبة لـ (بوند) ، ولكنه اجاب فى سرعة :

ـ إنها مجرد زيارة عابرة ، وانا واثق من انك ستجدين شخصيات هامة على متن الطائرة .

ـ إننى انشدك انت يا مستر (بوند) .. فى اى فندق ستقيم ؟

ـ فندق (ميرتل بنك) .

ـ شـكرا لك يا مستر (بوند) .. ارجو ان تطيب لك الإقامة هنا .

تركها (بوند) وزميله ، وغادرا المطار ، وقال (بوند) :

ـ هل رايت هذه الفتاة من قبل فى المطار ؟

هز (كواريل) راسه نفيا ، واجاب :

ـ لا اعتقد هذا ، ولكن لجريدة (ديلى جلينر) عدد هائل من المصورات الصحفيات .

توتر (بوند) بحق هذه المرة ، فلم يجد تفسيرا لتصويره بهذه السرعة ، وهو لم يطأ ارض (جامايكا) منذ خمس سنوات ، بالإضافة إلى أن اسمه قد محى تماما من سجلات عملية (العملاق الاسود) ، ولكن توتره تحول بغتة إلى الدهشة ، عندما وقع بصره على السيارة التى يقوده إليها (كواريل) ، وهتف :

ـ كيف حصلت على هذه السيارة ؟.. إنهـا سيارة (سترانجوايز) !!

اجابه (كواريل) فى بساطة :

ـ إنها السيارة الوحيدة غير المشغولة ، ولقد كلفونى استخدامها ، ولكن لمـاذا ادهشك هـذا كثيرا ؟

تمتم (بوند) :

ــ لا شىء .. لا شىء .

ودلف إلى المقعد الخلفى للسيارة ، وهو يفكر فى الأمر ..

خطأ بالغ أن يستخدم سيارة (سترانجوايز) ، التى ستثير اهتمـــام كل من يرغب فى معرفة سر عودته إلى (جامايكا) ، ولا ريب انه هو المخطىء ، بتسرعه وتهوره كالمعتاد ، فهو الذى ارسل برقية إلى حاكم الجزيرة ، يطلب منه فيها تكليف (كواريل) بالذات انتظاره فى المطار ، مع سيارة ، ولقد فعل هذا لثقته فى (كواريل) ، وفى قدرته على معاونته فى قضية (سترانجوايز) ، سواء انتهت إلى فضيحة او مغامرة .. ولقد طلب ايضا حجز حجرة فى فندق (بلومونتان) ، وهذا خطأ جديد لأى رجل مخابرات محنك .. كان ينبغى ان يستقل واحدة من سيارات الأجرة إلى الفندق ، ويتصل بـ (كواريل) من هناك .. من اى فندق على نحـــو عشـــوائى بحت .. لقد اقترف عدة اخطاء فى بداية مهمته ، واصبح محط اهتمام عدوه منذ اللحظة الأولى ، ولا ينقصه سوى الإعلان عن قدومه على صفحات (ديلى جلينر) ..

فجأة راودته فكرة كونه مراقبا ..

اوهى غريزة المهنة ..

وفى حذر اختلس النظـــر عبر زجاج السيارة الخلفى ، فراى سيارة تتبع سيارته ، على بعـــد خمسين مترا ، وقد اضاء قائدها المصابيح الصغيرة ، على عكس عادة سائقى (جامايكا) ، فاعتدل قائلا لـ (كواريل) فى حزم :

ــ فى نهاية الطريق مفترق ، يقود يساره إلى (كنجستون) ، ويمينه إالى (مورانت) ، انحرف فى طريق (مورانت) ، ثم توقف على جانب الطريق ، واطفىء الأنوار .

انطلق (كواريل) بغتة باقصى سرعة ، وانحرف يمينا عن المفترق ، وإطارات السيارة تطلق صريرا عاليا ، ثم انتحى بالسيارة جانبا ، واطفأ انوارها كلها ..

ومن خلفهما ظهرت السيارة الأخـــرى ، وقـــد انطلقت باقصى سرعتها ايضا ، وانحرفت فى طريق (مورانت) بدورها ، ثم توقفت ، وتراجع قائدها إلى المفترق ، ثم عاد ينطلق فى طريق (كنجستون) ، ولاحظ (بوند) انها سيارة امريكية كبيرة ، لا يجلس بها سوى سائقها ، ولكنه لم يتبادل مع (كواريل)

حرفا واحدا ، طيلة الدقائق العشر التالية ، قبل أن يقول بغتة :

— هيا إلى طريق (كنجستون) يا (كواريل) .. لقد كانت هـذه السيارة تطاردنا ، وافتح عينيك جيدا ، فقد يكون سائقها قد انتبه إلى خدعتنا ، وينتظرنا على جانب الطريق ..

وفى أقل من ساعة ، كانت سيارتهما تختلط بالسيارات الأخرى فى (كنجستون) ، ثم تتجاوزها عبر طريق التلال إلى شارع (جانكشن) ، ثم إلى فندق (بلومونتان) ، وعلى جانب الطريق ، لمح (بوند) السيارة الأمريكية الكبيرة وهى تعود إلى (كنجستون) .

ولم يشعر بالارتياح ..

وفى الفندق ، كانت حجرته فاخرة ، تطل على الميناء ، وقد قضى بعض الوقت فى شرفتها ، قبل أن يبدل ثيابه ، ويصحب (كواريل) لتناول العشاء فى المدينة ..

ولقد قاده (كواريل) إلى فندق يعرفه فى المدينة ، حيث اختار لهما مديره منضدة فى موقع ممتاز ، تحت شجرة نخيل كبيرة ، تطل على الشاطىء ، وقال (كواريل) عن المدير :

— إنه يدعى (بوسفلر) ، وهو صديقى منذ زمن ، ويعلم كل ما يحدث هنا فى (كنجستون) ، ويمكنك أن تطرح عليه كل ما يملأ رأسك من أسئلة .. لقد ابتعنا قاربا معا ، وذهب هو به إلى (كراب كى) ؛ ليصطاد الأسماك ، وسبح إلى حيث تكثر الصخور ، ولكن أخطبوطا كبيرا هاجمه ، واحتاج (بوسفلر) إلى قتال عنيف ، حتى أمكنه اقتلاع أحد أذرع الأخطبوط ، والفرار ، وبعدها أصابه رعب من البحر ، فاشتريت نصيبه فى القارب ، وعلى الرغم من ذلك فقد أثرى هو بعد زمن قصير ، وبقيت أنا فقيرا كما ترى .

— وما هى (كراب كى) هذه ؟

— جزيرة مشئومة ، يملكها صينى لحراسة الطيور النادرة ، ولكنه يمنع أى مخلوق من الهبوط عليها ، ويحيطها بعدد كبير من الحراس ، والأسلحة النارية ، ورادار ، وطائرة .. ولقد هبط العديد من أصدقائى هناك ، ولكن أحدهم لم يعد ليروى شيئا عن الجزيرة ، التى أصبحت تثير رعبى وخوفى .

أطلعه (بوند) خلال العشاء على جانب من قصة (سترانجوايز) ، وانصت إليه (كواريل) فى اهتمام ، ثم مال إلى الأمام وقال :

— يلوح لى أن (سترانجوايز) وصاحبته قد دسا انفهما فى شئون ذلك الصينى ، صاحب الجزيرة ، فتخلص منهما .

تطلع (بوند) إلى عينيه ، وهو يسأله :

— ولماذا تقولها وكأنك تؤكدها ؟

— ذلك الصينى يعشق جزيرته ، ويصر على عزلته ، وهو قوى صارم ، لم يتردد فى قتل اصدقائى كلهم ؛ ليبعد الآخرين ، ويمنعهم من تعكير صفو وحدته .

— لماذا ؟.

— للناس فيما يعشقون مذاهب ، و ...

قاطعه (بوند) بالتفاتة حادة مباغتة ، جعلته يواجه الصحفية الصينية ، التى التقطت له صورة المطار ، وهى تستعد لالتقاط صورة اخرى له ، وهو يتناول عشاءه ، فهتف بـ (كواريل) :

— إلى بهذه الفتاة .

هب (كواريل) من مقعده على الفور ، واتجه نحو الفتاة ، والقى عليها التحية بابتسامة عريضة ، وهو يقول ، مادا كفه إليها ، وكأنه يود مصافحتها :

— مساء الخير يا آنسة .

لم تكد تضع يدها فى كفه ، حتى جذبها إليه فى عنف ، فهتفت :

— إنك تؤلمنى .

اجابها (كواريل) فى صرامة :

— الكابتن يرغب فى تناول كأس من الشراب معك .

قادها فى عنف إلى حيث يجلس (بوند) ، الذى قال فى هدوء :

— مساء الخير يا عزيزتى ، ما الذى تفعلينه هنا ؟ ولماذا ترغبين فى الحصول على صورة اخرى لى .

— لقد فسدت الصورة الأولى ، واردت التقاط اخرى ليلية .

— إذن فانت حقا صحفية فى (ديلى جلينر) .. ما اسمك ؟

— لن اخبرك .

لم تكد تنطق بالعبارة ، حتى لوى (كواريل) ذراعها خلف ظهرها فى عنف ، فتأوهت ، واجابت :

— اسمى (آنابل شويك) .

قال (بوند) لـ (كواريل) :

— اطلب من (بوسفلر) المجىء .



لم تكد تنطق بالعبارة ، حتى لوى (كواديل) ذراعها خلف ظهرها فى عنف ..

هرع مدير المطعم إلى (بوند) ، فسأله فى صرامة :

— أرأيت هذه الفتاة من قبل ؟

— إنها تأتى من حين لآخر يا سيدى .. أتحب أن أطردها ؟

— لا .. إنها تريد التقاط صورة لى .. اتصل بـ (ديلى جلينر) ، واسألهم .. هل لديهم صحفية باسم (أنابل شويك) .

— سأفعل يا سيدى .

التفت (بوند) إلى الفتاة ، وابتسم قائلا :

— لماذا لم تطلبى منه إنقاذك ؟

لم تجب الفتاة بحرف واحد ، فتابع :

— يؤسفنى استخدام القوة ، ولكن رئيسى فى الشركة العالمية للتصدير أخبرنى أن (كنجستون) تمتلىء بالشخصيات العجيبة ، وأنت تبدين لى أحد تلك الشخصيات ، وإننى أتساءل فى الواقع عن سر اهتمامك بالحصول على صورتى .

— إنها مهنتى ، كما سبق أن أخبرتك .

قبل أن يلقى عليها (بوند) سؤالا آخر ، ظهر (بوسفلر) ، وقال :

ـ لقد ايدت (ديلى جلينر) اقوالها يا سيدى ، فهم يؤكدون هناك ان (آنابل شوبك) تعمل لديهم كصحفية هاوية ، ويقولون إنهـا تلتقط صـورا ممتازة .

شكره (بوند) ، والتفت إلى الفتاة ، قائلا :

ـ حسنا .. هذا لا يفسر إصرارك على التقاط صورتى ، أو لحساب من تلتقطينها .

ـ لن تحصل منى على حرف واحد .

ـ حسنا .. استمر فى لوى ذراعهـا فى عنف يا (كواريل) .

تأوهت الفتـاة مرة اخـرى ، فى حين تراجع (بوند) بمقعده ، وراح يفكر فى ان معرفة اسم من يسعى للحصول على صورته ستغنيه عن مشـقة كبيرة ، وستمنحه طرف خيط ؛ لكشـف سر قضية (سترانجوايز) ..

وفى اثناء تفكيره ، كان (كواريل) ، يزيد من ضغطه على ذراع الفتاة ، التى استجمعت قواها بغتة ، وبصقت على وجه (كواريل) ، الذى احتقن وجهه فى غضب ، ولوى ذراعها فى قسوة ، جعلتها تتصبب عرقا ، وتسب باللغة الصينية ، فقال (بوند) :

ـ هيا .. اعترفى وسنصبح صديقين ، وينتهى هذا العذاب ، و ..

فجاة هوت الفتاة بشىء ما فى يسراها على وجه (كواريل) ، ورأى (بوند) الدماء تنزف من جبهة هذا الاخير ، وبقايا مصباح التصوير يسقط من يد الفتاة ، وسمع (كواريل) يهتف فى غضب :

ـ إنها عنيدة ، ولن نحصل منها على شىء .. هل احطم يدها ؟

لوح (بوند) بكفه ، وقال :

ـ لا .. دعها وشأنها .

بدا له انه من الواضح ان من خلف الفتاة قساة غلاظ القلوب ، وإلا فما احتملت كل هـذا العذاب لتخفى سرهم ، وراح يتطلع إليها فى تساؤل ، عندما اطلق (كواريل) سراحها ، وهو يقول فى سخط :

ـ لقد شوهت وجهى ، فإليك هذا .

وحطم كاسـه ، ودفعه فى وجه الفتـاة ، التى اطلقت صرخة مكتومة ، وانطلقت تعـدو مبتعدة ، وهى تصرخ :

ـ لن تفلتا منه .. سـوف يقتلكما حتمـا .. حتمـا ..

ودوت العبارة فى راس (بوند) ..

دوت فى شدة ..

* * *

٥ ــ اختفاء ..

لم يتوقف دوى العبارة فى راس (بوند) ، حتى وهو يجلس فى شرفة حجرته بالفندق ، يتطلع إلى الجبال الزرقاء ، والغابات التى تمتد سبعة كيلومترات ، حتى (كنجستون) ، وبدا له من الواضح أن (سترانجوايز) و (تروبلود) قد قتلا واخفيت جثتاهما ، وأن من قتلهما يعلم الآن ان (بوند) هو الموفد من الحكومة للتحرى عن حقيقة امرهما ؛ لذا فهو يبذل اقصى جهده للحصول على صورة لـ (بوند) ، وعلى معرفة موقعه ، ولا ريب انه سيستتبع ذلك نوع من المراقبة الدقيقة ؛ للتأكد من أن (بوند) لن يتوصل إلى دليل ما ، او طرف خيط يقوده إلى حل اللغز ، ولا مانع من إبادته بحادث سيارة ، أو حتى بالاغتيال فى الطريق ، لو توصل إلى شىء ما ..

وتساءل : هل سينتقم العدو للغتاة ؟.. من الغباء حقا ان يتباطأ كثيرا ، فى مثل هذه الظروف ، ولو انه هو فى مكانه لتحرك فى سرعة ، وانتقم فى قسوة .. ولكن من يكون هذا العدو ؟ .. لا ريب انه دكتور (نو) .. (جوليوس نو) .. الصينى الذى

يمتلك (كراب كى) ، والذى اثرى من تجارة الطيور النادرة ، على الرغم من ان سجلات المخابرات كلها تخلو من معلومة واحدة عنه ، على الرغم من ان اربعة رجال قد قتلوا بسبب جمعية (اودبون) هذه .. بل إن (كواريل) نفسه يخشى دكتور (نو) ، وجزيرته المنيعة الحصينة ، على الرغم من ان (كواريل) من فئة اعتادت مجابهة الخوف وهزيمته .. ثم ما سر هذه العزلة التامة لدكتور (نو) ؟.. ولماذا يتكبد كل هذه النفقات الباهظة ، لمنع الناس من بلوغ جزيرته ؟ على اية حال ، إنه سيلتقى بالحاكم فى تمام العاشرة صباحا ، ليحصل على بعض المعلومات عن (نو) ، وعن (كراب كى) ..

انتزعه من افكاره طرق خفيف على باب حجرته ، ولم يلبث (كواريل) ان دلف إليها ، وانضم إلى (بوند) فى الشرفة ، وقال (بوند) :

ــ سأقضى اليوم كله مع الحاكم ، وفى معهد (جامايكا) ، ولن احتاج إليك معى ، ولكن هناك اعمال اريد منك ان تقوم بها ، فيجب أن تتخلص من سيارة (سترانجوايز) ، وتستأجر واحدة جديدة لمدة شهر كامل ، ثم اذهب إلى الميناء ، وحاول ان

تعثر على رجلين يشبهاننا ، وابتـــع لهمـــا ملابس كملابســـنا ، واسالهما ان ينطلقـــا بسيارتنا إلى (مونتيجو) ، على الحدود الإسبانية ، ثم يودعان السيارة (جراج) (لايفى) هناك ، واتصـــل بـ (لايفى) ، واطلب منه أن يبقى السيارة حتى نذهب إليه .

— هذا يعنى انك تعد خطة ما .

— بالتاكيد .. امنح الرجلين عشرة جنيهـــات يوميا ، واخبرهما اننى ثرى امريكى، واننى ارغب فى أن يقود رجلان محترمان سيارتى ، وان يصلا بهـــا إلى (لايفى) فى تمام السادسة صباحا ، ودعهما ينطلقان بسيارة (سترانجوايز) بعد رفع غطائها ، ثم احضر انت بالسيارة الأخرى .

— سمعا وطاعة .

— قل لى : الا يزال ذلك المنزل الصغير ، الذى استخدمنـــاه فى زيارتى الأخيرة لصحراء مينـــاء (مورجان) قائما ؟

— لست أدرى يا كابتن !

— اذهب إذن إلى شركة (جراهام) ، وحاول أن تستأجره ، أو تستأجر اى منـــزل قريب ، باى ثمن ، واخبرهم اننى ثرى امريكى ، وسأتصل انا

باصحابه ، بعد أن تحصل على المفتاح .. خذ .. هذه مائتان من الجنيهات ، واتصل بى لو انك تريد مبلغا إضافيا .. إنك تعلم أين سأكون .

— هل من أوامر أخرى ؟

— لا .. ولكن حاول الا يتبعك احد ، والأفضل أن تترك السيارة ، وتتم هذه المهمات على قدميك ، وانتبه إلى كل صينى يحوم حولك ، وسنلتقى غدا فى السادسة والربع صباحا ، لنذهب إلى الشاطىء الشمالى ..

انطلق (كواريل) ليتم مهمته ، فى حين اتجـــه (بوند) إلى مكتب الحاكم ، حيث تركه المسئولون ينتظر لربع ساعة ، حتى لا يلفت انتباه احد ، ثم سمحوا له بدخول حجرة الحاكم ، الذى استقبله فى بساطة ، وابتدره قائلا :

— أجلس يا ســيد (بوند) .. لمـــاذا طلبت رؤيتى ؟

— بشأن قضية (سترانجوايز) يا سيدى .. واظنك قد تلقيت برقية وزارة الخارجية .

— نعم .. ولكن ما الذى يمكننى تقديمه إليك ؟.. لقد حفظنا القضية هنا .

— وما سبب حفظها يا سيدى ؟

ـ من المنطقى ان (سترانجوايز) قد فر مع الفتاة ، فبعض زملائك يميلون إلى ملاحقة النساء ، ولدينا هنا سجل بالفضائح الغرامية ، يندى له الجبين ، والأفضل أن ترسل لنا الحكومة رجالا أفضل ، واقترح ان يحل احد رجال الشرطة محل (سترانجوايز) ، فأنا اثق فى رجال شرطة الجزيرة كثيرا .

ـ سانقل رايك إلى مسئولى الحكومة يا سيدى ، وبخاصة إلى وزير الدفاع ووزير الخارجية ، فلست اشك لحظة فى كفاءة رجال الشرطة هنا .

ـ إنها مجرد ملاحظة يا مستر (بوند) ، وساتصل انا بوزير الخارجية ، عندما يستقر رأيى على امر ما .. والآن هل تحب مقابلة احد من رجالى ؟

ـ اريد التحدث مع سكرتير المستعمرات يا سيدى .

ـ لماذا ؟

ـ طلب منى رئيسى بحث أمر يتعلق ببعض المتاعب فى مستعمرة (كراب كى) للطيور النادرة .

ـ لا باس ، ساطلب من مستر (بليدل سميث) رؤيتك على الفور .

ثم نهض يصافح (بوند) ، مستطردا :

ـ إلى اللقاء يا مستر (بوند) .. يسرنى ان نتعاون معا ، وإن كنت لم ار (كراب كى) هذه حتى الآن .

تمتم (بوند) منهيا اللقاء :

ـ ولا انا يا سيدى .. ولا انا .

انهى (بوند) لقاءه مع الحاكم ، واتجه إلى مكتب (بليدل سميث) ، الذى لم يكد يراه حتى هتف :

ـ (بوند) ؟! .. اهو انت الذى شاركت فى مغامرة الكنز هنا ، منذ عدة سنوات ؟! .. يا إلهى .. لقد وقع الملف فى يدى منذ أيام .. هل اتيت لتشن حربا ثانية ؟!

ـ لا .. لقد اتيت من اجل قضية (سترانجوايز) ، ولكن اخبرنى : كيف وقع الملف فى يدك هذه الأيام ؟

ـ دعنى اتذكر .. آه .. لقد رايته على مكتب سكرتيرتى الجديدة .. كانت تبحث عن تاريخ معين فيه ، واسترعى الملف انتباهى .

ـ يبدو ان العديدين يهتمون بأمرى ، منذ بلغت (جامايكا) .. حسنا .. اخبرنى ما الذى تعرفه عن (كراب كى) ، وعن دكتور (نو) ؟

ـ الحديث عن هــذا قد يستغرق ســاعات ، ولكننى سأطلب ملف (كراب كى) ، فالطيور التى تحيا على تلك الجزيرة تتغذى على نوع خاص من أسماك الأنشــوجة ، والطائر الواحــد يســتهلك ما يقرب من سبعين سمكة فى اليوم الواحد ، ومن المفارقات الطريفة ان سكان (بيرو) كلها يستهلكون اربعة آلاف طن من هذه الأسماك فى العام ، فى حين تستهلك طيور البحر خمسمائة الف طن منها ، وتلقى على الجزيرة كمية هائلة من مخلفاتها ، التى تحوى كميات من النترات .

ـ ولماذا لا تلقى الطيور ، مخلفاتها فى البحر ؟

ـ لست ادرى .. إننى اجهل ذلك حقا ، ولكن الطيور تلقى مخلفاتها علىالجزيرة منذ فجر التاريخ ، حتى بلغت كمية مخلفاتهــا اطنانا واطنانا ، وعمل بعض المغامرين على نقل اطنان من هذه المخلفات ، بعد أن كشفت الأبحاث انها افضل سماد عضــوى عرفه التاريخ ، واثرى العشرات من هذه التجارة ، على الرغم من حدوث عدة جرائم قتل مثيرة ..

ـ وما شأن هذا بـ (كراب كى) ؟

ـ كانت الجزيــرة الوحيــدة التى لم يصــلها المغامرون بعد ، ولقد انتبهت (بيرو) إلى هذه الثروة

الطبيعية ، فبدأت فى تنظيمهــا ، وحماية الجزر من عبث العابثين ، وفرض رقابة شديدة على الطيور ، وبدأت الكيماويات الألمانية تغزو العالم ، فانصرف المغامرون عن الأسمدة الطبيعية ، وانخفض سعرها بالتالى ، وهنا تقدم (نــو) ، وابتاع منا الجزيرة ، واحضر عمالا كثيرين ، وهم يعملون ليلا ونهارا حتى الآن ، ولا ريب انه يمتلك الآن ثـروة هائلة ، فهو يشحن المــادة مباشرة إلى (اوربا) مرة كل شهر ، ولقد فشــلت تماما فى معــرفة اى سر من اسرار الجزيرة ، فهى اشبه بقلعة حصينة ، يعمل فيهــا العمال تحت ظروف وسلطة جائرين ، وعلى الرغم من ذلك فلا احد يشكو ، او يتظلم .

ـ كم يساوى المكان فى نظرك الآن ؟

ـ لو وضعنا الطيور النادرة والأسمدة الطبيعة فى الحســاب ، فيمكن أن يقال أن ثروته تقدر بمليونين ونصف مليون من الجنيهات على الأقل ، و ..

بتر عبارته مع دخول سكرتيرته الجديدة ، فسألها فى حدة :

ـ أين الملفات التى طلبتها ؟

ـ معذرة يا سيدى .. لقد اختفت .

ـ ماذا ؟ .. من حصل عليها آخر مرة .

– الكابتن (سترانجوايز) يا سيدى .

– ولكنه اعادها إلى هنــا ، فما الذى حدث بعدها ؟

– الملفات موجودة يا سيدى ، ولكنها خالية .

عقد (بوند) حاجبيه ، وهو يتطلع إلى الفتاة ، فقد بات من الواضح أن كل المعلومات الخاصة به ، وبعملية (العملاق الأسود) قد تسربت عبر هــذه الفتاة بالذات ..

ولم يكن هذا مجرد شك ..

كان هناك دليل قوى ، فالسكرتيرة الجديدة كانت مثل (أنابل شوبك) ودكتور (نو) ..

كانت صينية ..

* * *

٦ – حشرة قاتلة ..

تطــرق الحديث بين (بوند) و (بليدل سميث) إلى موضوعات شتى ، حول مائدة الطعام فى نادى الملكة ، وتحدث (سميث) عن ميل مواطن (جامايكا) للتراخى والتكاسل ، على الرغم من ثراء موطنه ، وعن اليهود والبرتغاليين ، الذين نهبوا كنوز البلاد قديما ، وفروا بها إلى (اوربا) ، بعد أن سيطروا على الاقتصاد ، وخربوا الضمائر والذمم ، ثم انتقل الأمر إلى السوريين ، الذين كونوا ثروات ضخمة ، وسيطروا على المحــال التجارية والفنادق لفتــرة طويلة ، وجاء بعدهم الهنود ، واخيرا الصينيون ، الذين سيطروا على مقاليد الأمور بذكائهم ودهائهم ، وصاروا اقوى طائفة فى (جامايكا) كلها ، يمتلكون موارد الطعام والمغاســل الضخمة ، ويصاهرون الزنوج ، مما أدى إلى ظهور نســل صينى زنجى مولد ، وسأله (بوند) بعد ان استمع إلى كل هذا :

– وهل سكرتيرتك هى إحدى الزنوج الصينيين ؟

– نعم .. وهى فتاة لماحة ، تعتبر اكفأ موظفات المكتب ، على الرغم من أنها لم تتسلم عملها إلا منذ ستة شهور فحسب .

— ولكن هل للصبنيين من يرعى امورهم ؟..
اعنى هل لهم راس كبير ؟

— حتى الآن لا ، ولكن سيظهر حتما من يحتل هذا الدور .

وتناول رشفة من كاسه ، قبل ان يضيف :

— واظن ان (نو) هذا سيكون الزعيم المنتظر.

ارتشف رشفة اخرى ، ثم نهض قائلا :

— قلت إنك ستذهب إلى معهد (جامايكا) .. هيا إذن ، فسأقدمك لمديره ، المسئول عن خرائط الجزر الغربية .

لم تمض إلا ساعة واحدة ، حتى كان (بوند) يجلس أمام خريطة ضخمة لـ (كراب كى) ، وضعت عام ١٩١٠ ، وبدا فيها ان مساحة الجريرة لا تزيد على سبعين كيلومترا مربعا ، يتجه ثلاثة ارباعها نحو الشرق ، وسط مستنقعات وبحيرات ضحلة ، ينساب منها نهر يصب فى البحر ، عند خليج صغير فى الساحل الجنوبى ، اما من ناحية الغرب ، فالجزيرة ترتفع تدريجيا إلى خمسمائة قدم ، ثم تنحدر إلى شاطىء البحر ، دون ان يبدو على الخريطة كلها اثر اطريق أو منزل ، وكانت المياه تحيط بها من كل جانب ..

وبعد فترة كافية ، طوى (بوند) الخريطة ، وناولها للموظف المختص ، وراوده شعور بالتعب والإرهاق ، فعاد إلى فندقه ليستيقظ مبكرا ..
وسأل موظف الاستقبال عن ورود اية رسائل ، فأجابه الموظف :

— لم تصل سوى سلة من الفواكه ، مرسلة من الحاكم ، وهى فى حجرتك يا سيدى .

— ومن أتى بها ؟

— رجل من مكتب الحاكم .

اتجه (بوند) إلى حجرته ، واستل مسدسه ، وهو يدفع باب الحجرة بقدمه ، فوقع بصره داخلها على سلة الفاكهة ، وقد تعلق بها مظروف ابيض كتب فوقه :

— « مع تحيات الحاكم » ..

تطلع (بوند) إلى سلة الفاكهة لحظات ، ثم الصق أذنه بها فى حذر ، وانصت لنصف دقيقة ، ثم قلب محتويات السلة ، وتأكد من انها لا تحوى سوى الفاكهة ، فالتقط ثمرة خوخ ، والقاها فى حوض الاستحمام فى الحمام ، ثم عاد إلى الحجرة ، وفحص قفل الصوان فى حذر ، ثم فتحه ، وتناول حقيبته ، وراح يفحص آثار المسحوق الدقيق ، الذى

وضعه بين قفلى الحقيبة ، ورأى من الآثار الخفيفة فوق المسحوق محاولة لفتح القفلين ، ففتحها بأسلوبه الخاص ، وأخرج من الحقيبة عدة آلات دقيقة ، عاد بها إلى الحمام ، وتناول الخوخة ، وراح يفحص كل سنتيمتر منها فى دقة بالغة ، حتى وقع بصره على ثقب دقيق فى ركن منها ، فابتسم وهو يعيدها إلى الحوض ، ويتطلع فى صمت إلى المرآة ..

لقد بدأت الحرب إذن ، وصحت نظريته حول مقتل (سترانجوايز) و (تروبلود) ، لأنهما تدخلا فى شأن ما من شئون (نو) ..

وشعر بالامتنان للسكرتيرة التى أخفت المستند ، وللصحفية التى حاولت التقاط صورته ؛ فلقد قاده هذا إلى الحل ..

لقد أطلق (نو) الرصاصة الأولى ..

وحان دور (بوند) ..

وفى هدوء عاد (بوند) إلى حجرته ، وفحص كل حبات الفاكهة ، ووجد فى كل منها ثقبا دقيقا ، فاتصل بخادم الحجرات ، وطلب منه أن يحضر صندوقا وورقا وخيطا ، ثم طلب (بليدل سميث) وسأله :



اتجه (بوند) الى حجرته ، واستل مسدسه ، وهو يدفع باب الحجرة بقدمه ، فوقع بصره داخلها على سلة الفاكهة ..

— هل لديكم هنا فى (كنجستون) معمل للتحاليل ؟.. عظيم .. لدى هنا صندوق صغير ، اريد تحليل محتوياته على الفور ، ودون ذكر اسمى ، وساشرح لك الأمر فيما بعد .. المهم ان تتصل بى فى ڤيلا (الصحراء الفاتنة) فى ميناء (مورجان) .

أرسل الطرد إلى السكرتير العام للمستعمرات ، بعد المحادثة مباشرة ، ثم عاد إلى حجرته فى السادسة ، ولم يكد يبلغها حتى ارتفع رنين الهاتف، فالتقط سماعته فى سرعة ، وسمع (كواريل) يقول إن كل شىء قد تم إعداده بمنتهى الدقة ، وانهى (بوند) المحادثة ، دون ان يضيف شيئا ، وخرج إلى الشرفة يفكر فى عمق ..

هل يطلع الحاكم والسيد (م) على محاولة (نو) لقتله الليلة بوساطة الفاكهة المسمومة ؟..

القى هذا الخاطر جانبا فى سرعة ، واعاد حقيبته إلى الصوان ، واوصد باب الحجرة جيدا ، والقى جسده على الفراش ، ولم يلبث ان غرق فى سبات عميق ..

واستيقظ (بوند) بغتة فى الثالثة صباحا ، على نباح عدة كلاب ، لم تلبث ان صمتت ، وساد هدوء

عجيب فى المكان ، وراح ضوء القمر يلقى ظلالا ناعمة داخل الحجرة ، وتساءل (بوند) عن السر فى استيقاظه بغتة هكذا ، على الرغم من ان نباح الكلاب امر معتاد فى هذه الناحية ، وكاد يغادر فراشه ، و ..

وفجأة تجمد فى مكانه ، وهو يحدق فى جسم يتحرك فوق جسده ، متجها إلى ذقنه ..

كانت حشرة من نوع ما ..

حشرة مقززة ، يبلغ طولها خمسة عشر سنتيمترا على الأقل ، وتتحرك على جلده فى بطء مثير ، وهو يتابعها مسترجعا كل معلوماته عنها ..

إنها حشرة سامة قاتلة ، رآها يوما فى احد المتاحف ، ولقد بلغت ركبته ، فى طريقها إلى رأسه ..

وقرر (بوند) الا يتحرك ، او حتى يتنفس ، او يرتعد ، والحشرة تصعد من ساقه إلى وسطه ، ثم تجر أرجلها العديدة المشعرة فوق معدته ، وتواصل طريقها فى بطء حتى بلغت قلبه ، وخيل إليه انها ستضرب ضربتها هناك ، وتقتله على الفور ، إلا انها

لم تلبث أن واصلت طريقها ، حتى بلغت عنقه ..

وهناك توقفت قليلا ..

وبعد فترة بدت أشبه بدهر كامل ، واصلت الحشرة اللعينة سيرها إلى ذقنه ، وراحت تدور حول فمه ، واتجهت نحو عينيه ..

واغلق (بوند) عينيه فى بطء ، فتوقفت الحشرة فوق جفنيه ، وجال بخاطره أن يضربها بيده بعيدا ، ولكن سيقانها الثابتة على وجهه جعلته يخشى أن تغرز مخالبها السامة فى جسده ، فتركها تواصل طريقها ، حتى بلغت جبهته ، ثم توقفت عند شعره ، وازداد جسده تجمدا ..

لقد راحت الحشرة تمتص حبات العرق عند منبت شعره ، وهو يغذيها بمزيد من العرق ، من شدة خوفه وتوتره ..

وبدت له الثوانى دهورا ..

ثم تحركت الحشرة أخيرا ..

انتقلت إلى شعره ، ثم تجاوزته إلى الوسادة ..

وفى هذه اللحظة بالذات قفز (بوند) خارج الفراش كالقذيفة ، ودفع الحشرة بالوسادة أرضا ..

وسحقها بقدمه فى عنف ..

ووقف يلهث من فرط الانفعال ..

ها هو ذا (نو) ينتقل إلى الخط القتالى الثانى ..

وها هى ذى المعركة تحتدم ..

* * *

٧ ـ الى الهدف ..

لم يكد (بوند) يلتقى بـ (كواريل) فى الصباح التالى ، حتى ابتدره قائلا :

ـ ما معلوماتك عن العناكب السامة هنا ؟

ـ توجد منها عدة انواع وحشية فى (جامايكا) ، يبلغ طول بعضها اثنى عشر سنتيمترا او يزيد ، وهى شديدة الفتك ، وتميل إلى الأخشاب الرطبة التالفة ، ولا تجول إلا ليلا ، ولكن لماذا تسال ؟ هل رايت إحداها ؟

ـ هل يمكن ان ارى إحداها فى منزل عصرى ؟

ـ لا .. إلا إذا وضعت بفعل فاعل ، فهذه الحشرات قذرة ، يمكنك ان تعثر عليها فى الأدغال وتحت الصخور ، ولكن مستحيل ان تجدها فى الأماكن النظيفة .

اكتفى (بوند) بهذا الحديث ، وانتقل إلى نقطة اخرى ، وهو يقول :

ـ هل رحل الرجلان فى سيارة (سترانجوايز) هذا الصباح ؟

ـ نعم .. وهما بشبهاتنا إلى حد كبير ، ولقد بذلت جهدا خرافيا ؛ لاختيارهما من وسط المئات .

انطلق (بوند) بالسيارة طويلا فى صمت ، وقد اطلق لأفكاره العنان ، حتى قطع عليه (كواريل) حبل تفكيره ، وهو يسأله :

ـ معذرة يا كابتن ، ولكن ما خطوتنا التالية ؟ لقد اختلط على الأمر .

ـ لم تخطر ببالى فكرة محدودة يا (كواريل) .. كل ما فى الأمر هو اننى اوافقك على ان (سترانجوايز) و (تروبلود) قد قتلا ، وان قاتلهما هو دكتور (نو) الصينى ، الذى يمتلك (كراب كى) ، فلا ريب ان (سترانجوايز) قد اقتحم عزلته ، وعلم الكثير عن اسرار الرجل وطيوره ، و (نو) يكره من يقتحم عزلته ، كما يعلم الجميع ؛ ولهذا ارسلت الرجلين فى زينا وسيارتنا إلى (مونتيجو) ، فى حين سنختفى فى (الصحراء الفاتنة) عدة ايام .

ـ ثم ماذا ؟

ـ ينبغى ان تعمل اولا على تدريبى على مواجهة الأخطار البحرية ، كما فعلت فى المهمة السابقة ، وبعدها سنذهب معا لزيارة (كراب كى) .. سنحوم حولها ، ولن نقترب من حصن (نو) ، بل

سنتفقد معسكر الطيور وما اصابه ، ولو وجدنا ما يريب ، فسنتراجع ونعود مع كتيبة من الشرطة .

— الواقع أنه يبدو لى من الجنون ان تقتحم قلعة (نو) أو جزيرته ، ولكن لا بأس ، شريطة أن تؤمن على حياتى أولا ، فلدى اسرة كبيرة هنا .

— اوافق يا (كواريل) ، وسنجعل قيمة التامين كبيرة جدا .. والآن كيف يمكننا الذهاب إلى (كراب كى) ؟

— افضل وسيلة هى قارب صغير ، يتسلل فى ليلة بلا قمر ، وبلا رياح .. المهم هو اين تفضل الرسو ؟

— على الساحل الشمالى ، بالقرب من مصب النهر ، وبعدها سنتبع النهر إلى البحيرة .

— وكم من الوقت سنمضيه هناك ؟ لتعد ما يكفينا من طعام .

— ثلاثة ايام .. وسنحمل معنا اسلحة بيضاء وبعض اسلحة الطوارىء .

لم يتبادل الاثنان كلمة إضافية ، حتى بلغا ميناء (ماريا) ، وعبرا مدينة صغيرة بالقرب من ميناء (مورجان) ، ثم تابعا سيرهما حتى فيلا (الصحراء الفاتنة) ..

كان المكان المحيط بالفيلا هادئا ساكنا ، ذكر (بوند) بمغامرة سابقة ، وكانت عقارب الساعة تشير إلى الثامنة وربع ، فانطلق (بوند) يسبح لمسافة نصف كيلومتر ، ثم ركض على الشاطىء لكيلومتر كامل ..

ومضت الأيام على هذه الوتيرة ، سباحة وركض، حتى مضى الأسبوع الأول دون منغصات ، اللهم إلا من خبر فى (ديلى جلينر) ، وبرقية من (سميث) ..

قال الخبر إن سيارة (سترانجوايز) قد تعرضت لحادث قتل راكبيها ، وان الشرطة تناشد السائح الأمريكى مستر (بوند) التقدم إليها فى أقرب فرصة ، اما برقية (سميث) فقد قالت :

— « كل ثمرة احتوت على كمية من السيانيد تكفى لقتل جواد » (سميث) .

واحرق (بوند) البرقية تماما ..

واستأجر (كواريل) قاربا ، راحا يبحران به لثلاثة ايام ، بقصد تجربته ، وقال (كواريل) فى حماس :

— بعد سبع ساعات من الإبحار ، سنخفى الصارى ، ونجدف بالمجدافين ، حتى لا يكشف رادار الجزيرة امرنا .

وبدات المغامرة ..

بدات فى ليلة مظلمة ، ساكنة الرياح ، تمنطق فيها (بوند) بمسدسه ، وحمل معه عشرين رصاصة إضافية ، وانطلق القارب يشق صفحة المياه ، فى صمت تام ..

وبعد تجديف عنيف لساعة كاملة ، تجاوز القارب منطقة الصخور إلى المياه العميقة ، ورفع (كواريل) شراعه ، فراحت الرياح تدفعه إلى الأمام رويدا رويدا ، تحت جنح الظلام ..

ورأى (بوند) من خلفهما أضواء الميناء ، والنجوم المتناثرة كمظلة فوقهما ، وادرك ان المسافة التى تفصلهما عن الجزيرة لا تتجاوز الكيلومترات الثلاثة الآن ..

واتجه (بوند) بالقارب نحو النجم القطبى ، الذى يتلألأ فى السماء ، وشعر بنشاط الأسماك ، التى تتقافز نشطة حول القارب ، وبدا له من المرعب أن تلك الأسماك هى أسماك الباراكودا والقرش ، وأن انقلاب القارب فجأة سيعنى نهايته ونهاية (كواريل) ..

ومرت الساعات بطيئة مرهقة ، حتى استيقظ (كواريل) فى الرابعة صباحا ، وهو يقول :

ــ اشتم رائحة أرض يا كابتن .

رأى (بوند) أمامه بالفعل جبلا عاليا ، يحجب ضوء النجوم ، وأبدل مكانه بسرعة مع (كواريل) ، الذى أسرع ينزل الشراع ، حتى يعجز الرادار عن تمييزها ، وترك القارب يمرق وسط تيارات عنيفة ، احتاجت منهما إلى كفاح مرير ، حتى أمكنهما دخول النهر ، وبلغا شاطئا أسود الرمال ، تكون من حمم بركانية قديمة ، فأخفيا القارب وسط أشجار البامبو ، فى دغل قريب ، قبل أن ينبلج الفجر ..

وهنا بلغ منهما التعب مبلغه ..

وعلى الرغم من أن هذا يخالف كل قواعد الحكمة ، فقد استغرقا فى نوم عميق ..

على أرض العدو ..

* * *

٨ ـ هنى ..

أشارت عقارب ساعة (بوند) إلى العاشرة صباحا ، عندما استيقظ من نومه ، ولاح له شبح يتحرك فوق الرمال ، على مقربة منه ، فرفع عينيه بحركة حادة ، وتطلع إليه من بين الأغصان ..

واضطرب قلبه فى قوة ..

كانت أمامه فتاة توليه ظهرها وهى تتمنطق بحزام يتدلى منه خنجر كبير ، إلى يمينها ، وقد بدت بشرتها البيضاء واضحة ، من خلال ثوب الاستحمام الذى ترتديه ، وقد ارتكنت بجسدها كله على ساقها اليمنى ، تفحص شيئا ما فى يدها بكل الاهتمام ؛ وصورتها تبدو أشبه بحورية من حوريات البحر ، بشعرها الأشقر الناعم الطويل المبتل ، الذى التصقت خصلاته بوجهها وكتفيها ..

وتساءل (بوند) : كيف وصلت تلك الحسناء إلى هنا ؟.. ولكن الجواب أتاه على هيئة قارب صغير ؛ وقع بصره عليه راسيا بين الصخور ، وآثار أقدام الفتاة تبدأ من عنده إلى حيث تقف ..

أتعيش هذه الفتاة هنا ؟ أم أنها قد أبحرت إلى الجزيرة ؟



كانت أمامه فتاة توليه ظهرها وهى تتمنطق بحزام يتدلى منه خنجر كبير ، الى يمينها ..

أهوال الليلة السابقة توحى إليه بأنها لم تبحر إليها حتما ، ولكن كيف بلغتهـــا ؟ وما الذى تفعله فيها ؟.

وفى ضجر ألقت الفتــاة ما بيدهـــا من محار ، وراحت تطلق صفيرا خافتا ، وهى تغنى :

— (ماريون) .. (ماريون) .. أنتظرك كل ليلة على الرمال الناعمة يا (ماريون) ..

انتبهت فجأة إلى حفيف الأغصان خلفها ، فهتفت :

— من هناك ؟

نهض (بوند) واقفا ، ووضع يديه على جانبيه ؛ ليؤكد لها أنه غير مسلح ، وابتسم قائلا :

— أنا .. لا تخشى شيئا .. إننى مجرد عابر سبيل .

استلت الفتــاة خنجرها بحــركة حادة ، إلا أن (بوند) لم يبال بهذا ، وهو يتأمل حسنها الفتان ، قبل أن تسأله هى فى خشونة :

— من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟

— أنا بريطانى عاشق للطيور .

— كم من الوقت راقبتنى ؟ وكيف وصلت إلى هنـــا ؟

— عشر دقائق فحسب ، ولن أجيب عن السؤال الثانى إلا بعد أن تخبريننى من أنت ؟

— أنا هنا أجمع المحار .

— هل أتيت فى قارب مثلنا ؟

— نعم .

— أين قاربك إذن ؟

— ها هو ذا عند الصخور ، أين قاربك أنت ؟ وماذا تعنى بصيغة الجمع ؟

— لقد أتيت بصحبة صديق ، ولقد أخفينا قاربنا بعيدا .

— ولكننى لم ألمح أثر قارب على الرمال .

— إننا حذران إلى حد ما ، ولقد أخفينا آثـار قاربنا .. على عكسك .. أخبرينى : هل استخدمت شراعا لبلوغ الجزيرة ؟

— نعم .. إننى أفعل هذا دوما .

— سيعلمون أنك هنا إذن ، فلديهم رادار قوى.

— إنهم لم يلقوا القبض على بعد .

وانتزعت منظار الغوص ، وهى تضيف :

— ما اسمك ؟

مرت لحظة من الصمت ، قبل أن يجيبها :

— (بوند) .. (جيمس بوند) .. ما اسمك انت ؟

— (رايدر) .

— (رايدر) ماذا ؟

— (هنيشيل رايدر) .. لماذا تبتسم ؟

— لا شىء .. إنه اسم رائع مثلك .

— بعضهم يطلق على اسم (هنى) .

— إننى سعيد بلقائك يا (هنى) .

أشارت (هنى) إلى المحار الملقى حولها ، وقالت فى خشونة :

— اسمع .. إياك أن تلمس هذه المحارات قبل ان أختفى .

قالتها واسرعت نحو الصخور ..

وفى هدوء اقترب (بوند) من المحار ، والتقط واحدة ، فحصها ليجدها ما زالت حية ، ثم ألقاها فى لامبالاة ، وهو يتساءل ..

هل خاطرت الفتاة بنفسها حقا ، من اجل بضع محارات وقواقع بسيطة ؟!..

استرجع عبارتها .. « انهم لم يلقوا القبض على بعد » ، وتذكر الطريقة التى استلت بها خنجرها ،

فى تحفز قتالى غريزى ، ودارت فى ذهنه عشرات الأسئلة ..

من هى ؟.. من اين جاءت ؟.. واين تعيش ؟

تناهى إلى مسامعه وقع اقدامها فوق الرمال ، فالتفت ليجدها قد ارتدت ثوبا فضفاضا من القطن ، وفوقه نطاقها ذو الخنجر الكبير ، وعلى كتفها حقيبة من الكتان ، وانحنت تجمع المحار والقواقع وتلقى بها فى حقيبتها ، فسألها فى هدوء :

— اهى من الأنواع النادرة ؟

جلست على الرمال ، وتطلعت إليه لحظات ، قبل ان تقول :

— اتعدنى بأنك لن تخبر اى مخلوق بما ساخبرك به ؟

— أعدك .

— نعم .. إنها نادرة جدا ، فالواحدة منها تساوى ثلاثة جنيهات فى (ميامى) ، وهذا النوع يسمى (الزهرة اليانعة) ، ولقد عثرت فى الصباح على ما كنت ابحث عنه ، فالأنواع النادرة تكثر هنا ، وإن كان العثور عليها عسيرا ، حيث انها تختفى وسط الصخور العميقة ، ولكننى سأنبش وكرها كله اليوم .

— اعدك الا اسرق منك شيئا .

— وماذا عن الطيور التى تعشقها ؟

— إنها تشبه البجع الوردى ، ولها مناقير ملعقية الشكل .

— اه .. لقد رايت الالوف منها هنا ، ولكن اظنك لن تجد شيئا ، بعد ان اخافوها ، ورحلت كلها .

بدا انها قد اطمانت إلى محدثها ، فجلس (بوند) على مقربة منها ، وهو يقول :

— حقا ؟!.. وماذا حدث ؟.. من اخاف الطيور حتى تهجر الجزيرة ؟

هزت كتفيها ، قائلة :

— لست ادرى بالتحديد ، ولكن هنا رجل صينى يمقت الطيور مقتا شديدا ، ولديه تنين نارى ، يطارد الطيور ويخيفها ، ولقد تسبب هذا التنين فى مصرع حارسى الطيور حسبما اظن ..

كانت تتحدث فى بساطة ، وكانما تشرح امرا عاديا ، وهى تتطلع بعيدا إلى البحر ، فسالها (بوند) :

— هل رايت هذا التنين ؟.. من اى نوع هو ؟

— نعم .. رايته .. كنت استكشف المكان بحثا عن انواع نادرة من المحار ، فاتجهت شمالا ، وبلغت معسكر الحراسة واعشاش الطيور ، ووجدتها مخربة محترقة ، ولما كان الليل قد تسلل إلى المكان ، فقد قررت قضاء ليلتى هناك ، والرحيل مع الفجر ، وفى منتصف الليل استيقظت بغتة ، ورايت التنين على مقربة منى ، وله عينان كبيرتان واسعتان ، تشتعل فيهما النيران ، وجناحان صغيران ، وذيل مدبب ، وله لون اسود ذهبى ، ولقد مر امامى بدوى رهيب ، وانا اختفى فوق شجرة قريبة ، ورايت الطيور تفر مذعورة ، وهو يحرق اعشاشها بنيران من بين فكيه ، وكان هذا ابشع ما رايته فى عمرى كله .

مالت إلى الخلف ، وتطلعت إلى (بوند) ، مستطردة :

— اراهن انك لا تصدقنى .

— لا وجود لشىء يسمى التنين ، فى عصرنا هذا يا (هنى) .. لقد رايت شيئا يشبهه ، وإننى لاتساءل عن كنه هذا الشىء .

— ولماذا تقطع بعدم وجود التنين فى العالم ؟.. إنها جزيرة منعزلة ، وربما تمكن التنين من العيش

فيها ، ومقاومة عوامل الانقراض .. ثم ما الذى تعلمه أنت عن مثل هذا الحيوان ؟.. لقد قضيت أنا حياتى وسط الحيوانات والزواحف وحدى .. هل رأيت مداعبات النمس ، أو رقص الأخطبوط ؟.. هل تعرف طول لسان الطائر الطنان ؟.. هل دللت يوما ثعبانا ساما ، وربطت جرسا فى عنقه ، ليوقظك كل صباح ؟.. هل شاهدت عقربا ينتحر بلسع نفسه بذيله السام ؟.. هل تعلم أن حاسة الشم عند الغراب تؤهله لشم رائحة سحلية نافقة ، من مسافة كيلومترين ؟.. أراهن انك لا تعلم شيئا عن هذا .. إنما أنت مدنى مدلل كالآخرين .

— صحيح انك تعلمين الكثير عن الأدغال والحيوانات يا (هنى) ، وصحيح اننى لم أحى حياة الغابة مثلك ، ولكننى أعلم الكثير مما لا تعلمينه أنت .. أعلم مثلا أن ذلك الصينى ، الذى يكره الطيور ، لن يسمح لك بمغادرة الجزيرة هذه المرة .

— لماذا ؟.. إنه لم يفعل هذا من قبل !!

— لأننى أنا المقصود هذه المرة .. لقد انزلنا شراع قاربنا على مسافة ثلاثة كيلومترات من هنا ، حتى لا يكشف الرادار أمرنا ، ولقد كان الصينى ينتظر قدومنا ، ولا ريب أن الرادار قد كشف شراع

زورقك ، وسيتصور انه زورقنا نحن ، وهذا يستدعى ان اوقظ زميلى .. إنه رجل ظريف من جزر (كايمان) ، ويدعى (كواريل) .

— يبدو اننى سأتسبب لكما فى مشكلة ، ولكن ..

قاطعها (بوند) :

— إنه مجرد سوء حظ لكلينا ، فانا واثق من انهم قد فحصوا آثار اقدامك من قبل ، وادركوا انك إنما تبحثين عن المحار ؛ ولهذا لم يبالوا بك ، أما بالنسبة لى فالأمر يختلف .. سيسعى هذا الصينى لاقتناصى بأى ثمن ، واخشى ان تدفعى انت ثمرة هذا .. على اية حال ، هذا يستلزم استشارة زميلى .. انتظرى هنا .

اختفى داخل الدغل ، وبحث فى همة عن (كواريل) ، الذى اخفى نفسه بين الأغصان تماما ، وابتسم وهو يوقظه ، وفرك (كواريل) عينيه ، وهو يقول :

— صباح الخير يا كابتن .. لقد زارت الفتاة الصينية احلامى .

ـ لدينا هنا فتاة من نوع آخر .

قص عليه كل ما حدث ، واخبره بضرورة تغيير الخطة ، فغمغم (كواريل) :

ـ اتعنى أن نستخدم الفتاة طعما لاصطياد (نو) ، و ..

بتر عبارته بغتة ، ومد رقبته إلى الأمام ، وبدا اشبه بكلب صيد متحفز ، قبل أن يقول فى انفعال :

ـ هيا .. بسرعة .

سأله (بوند) :

ـ ماذا هناك ؟

أشار (كواريل) إلى الشرق ، وهتف فى خوف واضح :

ـ إنهم فى الطريق إلينا .. لقد بدأت عملية الصيد ..

وكان على حق ..

* * *

٩ ـ المطاردة ..

عشر دقائق فقط ، اختلفت بعدها المنطقة تماما ..

اختفت كومة القواقع والمحار النادرة ، وكذلك آثار الأقدام ، وبدا الخليج ساكنا هادئا ، تضرب الأمواج شاطئه فى هدوء ورتابة ، بعد ان قطع (كواريل) بضعة اغصان من (مانجروف) ، وهو نبات يكثر فى الأدغال المتاخمة للشواطىء ، ومسح به رمال الشاطىء فى حذر ، وهو يتراجع إلى الخلف ، بعد ان أخفى قارب (هنى) جيدا ، بين الأعشاب البحرية ، وقطع الأخشاب القديمة ، التى تلقيها الأمواج على الشاطىء ..

ومع تراجعه بلغ (كواريل) لسانا بحريا صغيرا ، حيث جلس (بوند) و (هنىّ) ، والتزم الثلاثة بالصمت المطبق ، وهم يخفون ويخفضون حتى انفاسهم .

ولقد عثر رجال (نو) على القارب الكبير الفاخر ، ولكنهم لا يعلمون بعد كم عدد راكبيه ؛ لذا فهم يبحثون عنهم بكل همة وحزم ..

ولأول مرة رأى (بوند) الطيور الملعقية ، وقد انطلقت من الشرق فى سرب كبير ، مغادرة ما تبقى من مستعمراتها ، وباحثة عن غذائها من الأسماك الفضية ، التى تسبح عادة على مقربة من سطح الماء ، وراحت الطيور تنقض على الأسماك فى هجمات متتالية سريعة ، جعلت (هنى) تهمس فى أذن (بوند) :

– طيور الصينى تلتهم إفطارها .

بدت فى عبارتها وملامحها الهادئة ، وكأنما لا يشغلها أمر المطاردة أبدا ، فاكتفى (بوند) بالتربيت على كفها ، فى نفس اللحظة التى تناهى إلى مسامعه فيها صوت محرك زورق بخارى ، ولم يكد يدير عينيه إلى اللسان ، حتى وقع بصره على الزورق المزود بصارية لاسلكى ، وهو يقترب من الأغصان التى يختفى مع زميله والفتاة خلفها ..

وكان على الزورق ثلاثة رجال ، يجلس أحدهم خلف عجلة قيادته ، فى حين يحمل الثانى جهازا أسود اللون ، يتصل بسلك رفيع ، ويرفع الثالث مدفعه الرشاش فى تحفز ..

وكان الثلاثة من الصينيين ..



بدت فى عبارتها وملامحها الهادئة ، وكأنما لا يشغلها أمر المطاردة أبدا فاكتفى (بوند) بالتربيت على كتفها ..

وراح الاول يفحص الشاطىء بمنظاره المقرب فى اهتمام ، وسمعه (بوند) يلقى ملاحظات قصيرة سريعة ، و (بوند) يراقب اتجاه عينيه فى حذر ، ورأى الرجل يدير منظاره فى الرمال ، ثم ينقله إلى الصخور ، ويتفحصها فى إمعان ، ثم يسلم المنظار لزميله ، الذى تفحصها بدوره ، ثم اعادها إليه ، فاصدر الأول أوامره بالتوقف على الفور ، والقى المرساة ، فتوقف القارب أمام مخبأ (بوند) و (هنى) تماما ..

وتطلع السائق بمنظاره مرة اخرى إلى حيث اختفى زورق (هنى) بين الصخور ، وهز راسه علامة التاكيد ، وقال (بوند) لنفسه سرا :

— لقد وقعنا فى المصيدة حتما ، فمن الواضح ان هؤلاء الرجال يجيدون عملهم كثيرا .

انتبه على صوت المدفع الرشاش يعد للإطلاق ، وأزيز يرتفع من جهاز الرجل الثانى ، قبل ان يرفع الجهاز إلى فمه ، ويقول فى حزم ، وبلهجة أمريكية رصينة :

— حسنا ايها السادة .. اخرجوا من اماكنكم ، ولن يصيبكم ضرر .. هيا .. اسرعوا .. لقد

كشفنا امركم ، وعثرنا على القارب وسط الصخور .. واخرجوا وايديكم مرفوعة فوق رءوسكم ، ولن يصيبكم ضرر .

لم يجب (بوند) بحرف واحد ، وبدا الصمت مطبقا ، لولا هدير الأمواج ، وهمس (بوند) فى اذن (هنى) :

— اقتربى منى ، واحفرى بقدر ما تستطيعين .

ارتفع صوت الرجل مرة اخرى :

— هل تصرون على الانكار ؟.. حسنا .. سنثبت لكم انكم مخطئون .

انطلق إثر كلماته سيل من الرصاصات نحو اعواد البوص ، وسمع (بوند) ورفيقته ازيز الرصاصات فوق راسيهما ، وانطلقت اسراب الطيور فى ذعر ، وارتفع صوت الرجل مرة ثالثة :

— لقد انذرناكم .. انتم الملومون .

وانهمرت الرصاصات كالمطر ، من ناحية القارب المختفى ، ومتجهة إلى مخبإ (بوند) ، الذى همس فى توتر :

— انبطحى ارضا .

اختفى الاثنان داخل حفـــرة صغيرة ، حفراها باظفارهما ، وارتعدت (هنى) فى رعب حقيقى ، والرصاصات تفتتت الصخور ، وتخترق الرمال ، وتحفر طريقها نحوهما ، وتطايرت اعــواد البوص وكانما يحصدها منجل آلى ، ودوت الرصاصات فى شراسة فوق الرءوس ، وتسللت رائحة رطبة ، إلى انف (بوند) ، وخيل إليه ان اعواد البوص كلها قد تطايرت ، وانه و (هنى) قد اصبحا فى العراء ، قبل أن يتوقف انهمار الرصاصات ، ويغـرق الشاطىء فى صمت رهيب ، اخترقه صوت الرجل وهو يقول :

— لا باس .. سنعود لجمع اشلائكم ، لو تبقى منكم شىء .. وسنحضر معنا الكـلاب المتوحشة هذه المرة .

دار محرك الزورق مرة اخرى ، وانطلق مبتعدا نحو الغرب ، ورفع (بوند) راسه فى حذر ، يتابع ابتعـاد الزورق ، والتفت إلى (هنى) ، فرأى وجهها مبللا بالدموع ، وسمعها تقول :

— لمــاذا فعلوا بنا هذا ؟.. لقد اصابنى رعب هائل .. كادوا يقتلوننا .

ادهشه كل ذلك الرعب الذى يملأ نفسها ، فلقد بدت له شديدة الإلمام بعالم الحيوان ، قادرة على

الذود عن نفسها ضد ملمات الطبيعة ، ولكنها خالية الذهن تماما من الصراعات التى تدور بين البشر بعضهم البعض ..

وفى حنان غمغم :

— سيمر كل شىء على خير .. إنهم مجرد طغمة من الاشرار ارهبهم وجودنا ، ويمكننـا مواجهتهم بشىء من الحنـكة والتكنيك .. هيـا نبحث عن (كواريل) ، ونرسم خطة الفرار .

نهضـا يسيران فى بطء ، وبدا لهما (كواريل) يقترب ، ولاح لهم قـارب (هنى) ، وقد حولته الرصاصات إلى فتات ، فصرخت الفتاة ملتاعة ، وهدأ (كواريل) من روعها ، وافهمها ان زورقهما هو و (بوند) ما يزال سليمـا ، مختفيا فى منطقة آمنة ، ثم التفت إلى (بوند) ، قائلا :

— سوف يطلق هؤلاء الاوغاد كلابهم فى اثرنا بعد قليل .. إنهـا تزيد على العشرين ، وكلهـا قوية مدربة ، والأفضل ان نبدأ الفرار الآن .

اجابه (بوند) فى حزم :

— ليس قبل ان افحص الجزيرة يا (كواريل) .. وسنصحب (هنى) معنا .

تطلعت إليه (هنى) فى خوف ، وقالت :

— كم من الوقت ستستغرق لفحص المكان ؟

— سأحتاج إلى بعض الوقت ؛ لمعرفة ماذا اصاب اعشاش الطيور ومستعمرتها ، وبعدها سنغادر الجزيرة .. إنها الثانية عشرة الآن .. انتظرى هنا ، ولا تنصرفى قبل عودتنا .

احتاج هو و (كواريل) إلى ساعة كاملة ؛ لاستخراج القارب من مخبئه ، وملئوه بالحصى ، حتى يختفى تماما بين الأعشاب ، ومحوا آثار أقدامهما ، واكل الثلاثة بعض الثمار البرية ، ثم اتخذوا طريقهم نحو مصب النهر ، حتى بلغوا بحيرة كبيرة ، وعبروها سباحة ، والأسماك الفضية تتقافز حولهم على نحو مثير ، حتى بلغوا لسانا ضيقا ، اتسع بعده مجرى النهر ، وبدا الطمى فى اعماقه غرويا لزجا ، واحتشدت حولهم اسراب الباعوض تنهش اجسادهم ، والتيار يجرفهم نحو منعطف فى النهر ، فهتف (بوند) :

— عليكما بالحذر الآن ، وإلا كشفوا أمرنا .. سنسبح لكيلومتر واحد ، وبعدها سنبلغ البحيرة ، حيث تحيا الطيور ..

وعند حقل من البوص المائى ، توقفت القافلة الصغيرة ، ورأى الثلاثة الجبل القريب ، وقد تبعثرت حوله بضعة أكواخ ، وحلقت على قمته اسراب الطيور ..

كانت هذه مملكة دكتور (نو) ، التى لم ير (بوند) مثيلا لها من قبل ، وبدا له طريق يتجه من الجبل إلى البحيرة ، وتسللت إلى انفه رائحة الطيور ، وايقظه صوت (كواريل) ، وهو يقول :

— لقد جاءوا .

راى (بوند) سيارة تهبط الجبل ، وخلفها عاصفة من الغبار ، وراح يراقبها لعدة دقائق ، حتى اختفت خلف اعواد البوص الممتدة إلى البحيرة ، وبدا نباح الكلاب قادما من بعيد ، وقال (كواريل) :

— إنهم يتجهون نحو مصب النهر ، فهم يعلمون ان النهر هو مهربنا الوحيد ، وقد ياتون بالكلاب فى زورق كبير .

قالت (هنى) :

— هكذا يفعلون ، عندما يبحثون عنى .. فقط اقتطع عودا من البامبو ، واغوص فى الماء عند اقترابهم ، واغوص فى الماء معتمدة عليه فى التنفس .

ابتسم (بوند) ، وقال لـ (كواريل) :

ـ ابحث أنت عن أعواد البامبو ، وسنبحث نحن عن مخبإ .

تبعته الفتاة إلى نفق عشبى ، وقال فى لهجة آمرة ، وهو يعبر فتحة داخله :

ـ لا تحطمى هذه الأغصان .

عبرت الفتحة خلفه ، وهتفت :

ـ إنه مخبأ رائع .

غمغم :

ـ بالتأكيد .

وتحسس مسدسه المبتل ، وهو يتساءل : هل يمكنه اصطياد بعض الرجال والكلاب به ، لو عثروا على المخبإ ؟.. وراوده شعور بالخوف والرهبة ، وسمع صفير (كواريل) ، فأشار إليه أن يتقدم نحو المخبإ ، فاتجه إليه (كواريل) حاملا عدة أعواد من البامبو ، وجلس الثلاثة داخل المخبإ فى صمت ، والشمس تنحدر نحو المغيب فى بطء ، والصمت يسود المكان ، إلا من نباح الكلاب ..

ورائحة الخطر ..

* * *

١٠ ـ الأطلال ..

هبط فريق المطاردة نحو النهر ، يتقدمه رجلان صينيان ، تجرى أمامها الكلاب الضخمة ، والأول يفرق الطيور أمامه بسوط رفيع ، فى حين يصرخ الثانى :

ـ أراهنك أنهم يختبئون بين الأعشاب .

جذب كل منهما إبرة مسدسه ، واتجها نحو الفتحة التى اختفى داخلها (بوند) ورفيقاه ، وامسك احدهما برقبه احد الكلاب ، ودفع راسه داخل الفتحة ، وراح الكلب يشم الأعشاب ، ويتقدم داخل الفتحة ، دون أن يفعل ما هو اكثر من ذلك ، إلا انه قاوم فى شدة ، عندما اراد الرجل إبعاده عن الفتحة ، وهوى الرجل عليه بالسوط ، وأجبره على الابتعاد ، وخفتت أصوات الكلاب تدريجيا ، ولم تكد تتلاشى حتى ظهرت أعواد البامبو الثلاثة على السطح ، وتبعها ظهور (بوند) ورفيقيه ، والأول يمسك مسدسه فى تحفز ..

وفجأة ندت حركة ما تحت الماء ، ووضع (بوند) سبابته على شفتيه محذرا ، ولكن (كواريل) أطلق

سعالا خافتا ، فرمقه (بوند) بنظرة صارمة ، وهو يشير إلى تلك الحركة الغامضة ، وعاد الثلاثة يغوصون إلى العمق ، وارتفعت من افواههم اعواد البامبو ..

وفى العمق اسند (بوند) رأسه إلى الطين ، وراح يفكر ..

يبدو ان احد كلاب المطاردة يسبح نحوهم الآن ، وفرصة النجاة تتضاءل مع مرور الوقت ، و ..

وفجاة ضغط حذاء من الجلد على ذقنه ، ولم يعد هناك مجال للتراجع ..

وبحركة مباغتة عنيفة ، دفع (بوند) عود البامبو بعيدا ، وبرز فوق سطح البحيرة ، ورأى امامه رجلا ضخما ، وهوت على ذراعه ضربة قوية ، فالصق مسدسه بصدر الرجل الجاثم فوقه ، وضغط الزناد ..

ودوى الانفجار المكتوم ، وهوى الرجل كشجرة سقطت من علو شاهق ، ولاحظ (بوند) أنه صينى ، واستدار فراى (كواريل) و (هنى) خلفه ، وقد بلغ ذعر الأخيرة مبلغه ، فغمغم :

— معذرة يا (هنى) ، كان هذا حتميا .

انطلقت القافلة الصغيرة مرة اخرى نحو الطريق الذى اتت منه ، وادرك (بوند) ، بعد تلف ساعته بفعل المياه ، ان الساعة قد اقتربت من الرابعة حتما ، وشعر بتعب وإرهاق شديدين ، و ..

وفجاة انفجرت (هنى) صارخة :

— اظن انه قد حان الوقت لتخبرنى بكل شىء .. لماذا يحدث كل هذا ؟ .. لماذا يسعى كل مخلوق لقتل الآخر ؟.. لست أصدق قصتك عن الطيور .. إنها لاتتناسب مع مسدسك .

تنهد وقال :

— معذرة يا (هنى) .. لقد تورطت فى امر لا يعنيك ، ومن سوء حظك ان دفعك القدر فى طريقنا .. إننى احارب هؤلاء القوم ، الذين يسعون القضاء على ، وساقص عليك كل شىء عند عودتنا إلى المعسكر ليلا .

— ماذا تعنى ؟.. انت رجل شرطة ؟.. هل تسعى لإلقاء القبض على ذلك الصينى ، مالك الجزيرة ؟

— تقريبا .. اخبرنى اولا .. كم تبقى لوصولنا إلى المعسكر ؟

ـ حوالى الساعة .

ـ اظنه مكان مثالى للاختباء .. اليس كذلك ؟

ـ بلى .. إنهم يحتاجون إلى الدوران حول البحيرة كلها ، ليصلوا إلى المعسكر ، ويمكننا ان ننجو إلا إذا ..

ـ إلا إذا ماذا ؟

ـ إلا إذا ارسلوا التنين خلفنا .. إنه يستطيع السباحة بسرعة خرافية .. لقد رايت هذا بنفسى .

ـ دعينا من التنين .. إنه لا يقلقنى بقدر ما يقلقنى وجود هؤلاء الأبالسة المسلحين .

ـ من السهل أن تقول هذا ، قبل ان تراه .

قطع حديثهما ظهور (كواريل) من خلف بعض الأغصان ، وهو يقول :

ـ لقد عثرت على مسدس كبير ، لا ريب أنه قد سقط من احد حراس مستعمرة الطيور .

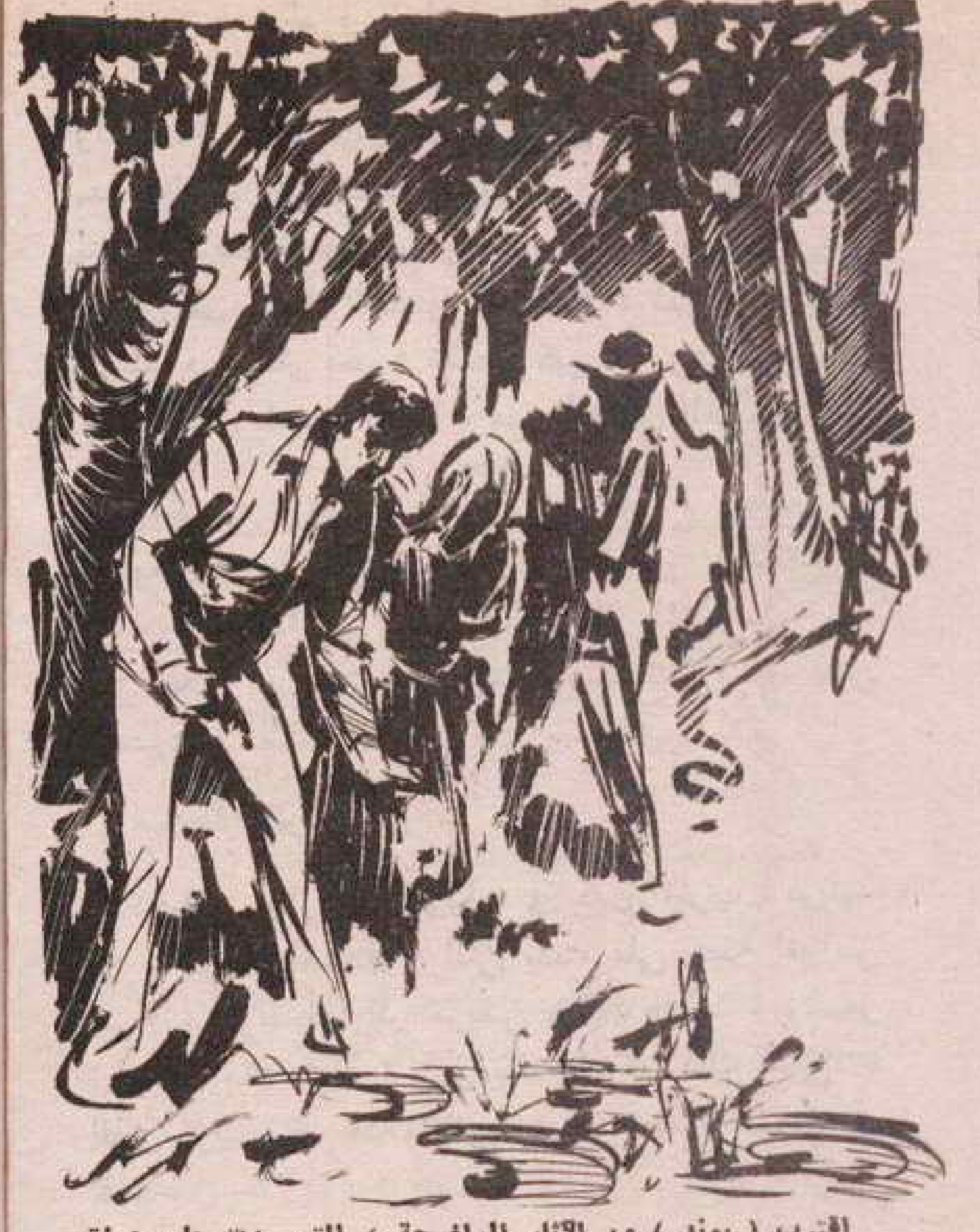
راح (كواريل) يقود القافلة الصغيرة ، التى صمدت للرياح العاتية اللافحة ، وهى تشق طريقها نحو المعسكر والمستعمرة ، وشعر (بوند) بالتهاب

عينيه ، وبألم فى ذراعه ، إثر إطلاقه النار على الصينى الضخم ، وراودته رغبة ملحة فى النوم ، ولكنه كان يعلم ان الحصول على هذه المتعة أمر مستحيل فى مثل هذه الظروف ، ولاحظ ان النهر يزداد ضيقا ، حتى صار مجرد مجرى صغير ، بين صفين من اعواد البامبو المدببة ، ثم لم يلبث ان اتسع ، وصار بحيرة ضحلة كبيرة ، وهنا اقترحت (هنى) ان يتجهوا شرقا ، عبر الأدغال العشبية ..

وفجأة توقف (كواريل) ، وراح يتطلع إلى اخدودين متوازيين ، ظهرا فى ارض المستنقع فى وضوح ، وبدا من الواضح انهما اثر لشىء ما ، جاء من التلال ، وشق طريقه وسط الأدغال حتى البحيرة ، فقالت (هنى) فى بساطة :

ـ هذا اثر التنين .

تجمد (كواريل) خوفا ، فى حين اقترب (بوند) من الآثار الواضحة ، التى بدت على هيئة اقواس كبيرة ، يتوسطها اثر عريض حديث العهد ، وشعر (بوند) بالدهشة ، وهو يتساءل عن ذلك الشىء ، الذى ترك مثل هذا الأثر ، وهمست (هنى) فى اذنه :



اقترب (بوند) من الآثار الواضحة ، التى بدت على هيئة اقواس كبيرة ، يتوسطها اثر عريض حديث العهد ..

ــ صدقنى إنه التنين .

غمغم (بوند) :

ــ لو انه ليس كذلك فهو شىء لم اره فى حياتى كلها .

هتفت الفتاة فى توتر :

ــ انظر الأعشاب العارية المحترقة .. إنها تبدو كما لو كانت عشا سابقا من اعشاش الطيور .

فحص (بوند) الأعشاب فى اهتمام ، وقال :

ــ إنها مهروسة هرسا !. لماذا هذه الأعشاب بالذات ؟

امتدت آثار التنين الغامض حتى اختفت فى الماء ، واضطرت القافلة إلى تجاهل الأمر ، وهى تواصل سيرها نحو هدفها ، حتى بلغت منطقة كثيفة الأغصان ، مع نهاية النهار ، وبدء الظلام ، ومع عبورهم تلك المنطقة الكثيفة ، ظهر امامهم كوخ محطم ، بدا وكانما تعرض لغارة جوية كاملة ، احالته إلى كومة من الأخشاب المحترقة ، إلا ان بقاياه كانت تصلح ــ على اية حال ــ كمأوى للثلاثة ، الذين القوا اجسادهم المنهكة إلى جواره ،

والشمس تختفى خلف الجبال ، ونقيق الضفادع يتصاعد فى الجو ..

وحولهم تناثرت آثار عجيبة ، هى كومة من المرجان ، وعدة أوان فارغة ، وبقايا تركها حارسا المعسكر السابقان ، وغمغم (بوند) فى إرهاق :

— يمكنك أن تستريحى هنا يا (هنى) ، وسنلتقى بعد نصف ساعة لتناول العشاء .

غمغمت ساخرة :

— هل نرتدى ثياب السهرة ؟

أجابها مبتسما :

— بالطبع ، وسيعد لنا (كواريل) طعام العشاء ، مما عثر عليه بين أنقاض الكوخ من علب محفوظة .

تركها واتجه نحو الرمال الخشنة ، المجاورة لشاطىء البحيرة ، واستلقى عليها فى تراخ ، وأطلق العنان لأفكاره ..

لقد بدا كل شىء واضحا الآن ..

إن دكتور (نو) لا يرغب فى رفقة أحد .. لقد دمر مستعمرة الطيور ، ودفعها إلى الفرار ،

وشن غارة رهيبة على معسكر (أودبون) وحارسيه ، وهو يقتل فى شراسة كل من يقترب من جزيرته ..

ولكن لماذا ؟..

الجواب على كل هذا الغموض يحتاج إلى إبلاغ المسئولين ، والعودة إلى الجزيرة على متن مدمرة بحرية من الأسطول الملكى ، واقتحامها عنوة ، وكشف كل غموض وأسرار جزيرة دكتور (نو) ..

بل كشف لغز دكتور (نو) نفسه ..

وفجأة بدا له صوت شىء ما يسبح فى الماء ..

شىء قوى عنيف ..

وعندما استل مسدسه ، ارتفع من خلفه صوت (هنى) ، تقول :

— العشاء معد ..

وفى نفس اللحظة تلاشى الصوت المخيف ..

تلاشى تماما ، دون أن يترك خلفه سوى لغز جديد ، يضاف إلى غموض هذه الجزيرة ..

جزيرة دكتور (نو) ..

* * *

١١ - قصتها ..

ساد الهدوء تماما ، مع اقتراب عقارب الساعة من الثامنة مســاء ، وهب نسـيم بـارد ، أنعش (بوند) ، فأسبل جفنيه فى صمت ، وهو يستلقى على رمال الشاطىء ، إلى جـوار (هنى) ، التى راحت تتطلع إلى النجوم المتلألئة طويلا فى صمت ، قبل أن تهمس بغتة :

— (جيمس) .. لقد وعدتنى بسرد القصة كلها .

— ليس قبل أن أسمع قصتك .

— لا ...اذكر لى قصتك أولا .

— حسنا .. انا رجل أمن ، ولقد اتيت إلى هنا مكلفـا البحث عن اختفــاء زميـل لى يـدعى (سترانجوايز) ، مع سكرتيرته ، و ..

قص عليها القصة كلها بكل وضوح وصراحة ، ثم أضاف :

— ومن الضرورى أن نعود إلى (جامايكا) غداً ، فى زورقنا الصـغير ، ونطلع الحـاكم على كل ما رأيناه ، ونطالبه بإرسال فرقة كاملة ؛ لإلقاء القبض على ذلك الصينى .. والآن ما قصتك ؟

— قل لى أولا : الا تقلق زوجتك من اســلوب عملك وحياتك هذا ؟

— لست متزوجا ، وشركات التأمين على الحياة وحدها تقلق بشأنى ، و ..

قاطعهما (كواريل) ، وهو يقول :

— سأتولى نوبة الحراسة الأولى ، حتى منتصف الليل ، وسنغادر الجزيرة فى الخامسة ، قبل أن ينبلج الفجر .

تركهما وانصرف إلى الحراسة ، فى حين راحت (هنى) تروى لـ (بوند) قصة حياتها ، قائلة :

— لم أغادر (جامايكا) مرة واحدة فى حيــاتى كلها ، وكنت أحيا بالقرب من ميناء (مورجان) ، فى منطقة تعرف باسـم (الصحراء الفاتنة) ، وكان والدى يمتلك حقلا لقصب السكر ، لقى حتفه فيه مع أمى ، إثر حـريق وتخـريب متعمد ، وأنا فى الخامسة من عمـرى ، وعشـت فى كنف مربيتى السمراء ، حتى ماتت وأنا فى الخامسة عشرة ، ومنذ ذلك الحين أحيا وحدى وسط خرائب وأطلال قصر والدى القديم ، وحـاول بعض الرجـال إيذائى ، ولكننى تعلمت كيف أواجههم وحدى .

ـ ربما جذبهم جمالك الأخاذ .

ـ هل تمزح ؟.. الم تر انفى الأفطس ؟

ـ عملية تجميل بسيطة تعيد إليه جماله .

ـ واين لى بالمال ، لإجراء جراحة التجميل ؟.. لست أملك من الدنيا سـوى حفنة من الجنيهات ، اخفيها وسط اطلال قصر والدى ، وثلاثة خناجر ، وشبكة لصيد الأسماك ، وعملية التجميل تحتاج إلى خمسمائة جنيه على الأقل .. المهم .. دعنا نعود إلى قصـتى .. هل تذكـر حديثى عن الزواحف والحشرات ؟.. لقد بدات علاقتى بها فى اطلال قصر والدى ، فلقد كانت تلجا إليه كمأوى ، وكانت مربيتى تخشاها ، اما انا فقد احببتها ، ورحت اعمل على رعايتها ، والعجيب انها قد الفتنى ، ولم تعد مفترسة بالنسبة إلى ، بل راحت تبحث عنى ، وتسهر على حراستى وحمايتى ، وانا اطعمها ، واهتم بشئونها ، حتى علم الجميع تلك الصلة العجيبة ، التى تربط بينى وبين الزواحف والحشرات السامة ، واصبحوا يخشوننى كما لو كنت سـاحرة شريرة .. وذات يوم حاول رجل يدعى (ماندر) الاعتداء على ، فما كان منى إلا ان صـفعته بكل قوتى ، فاجـاب هو صفعتى بلكمـة حطمت انفى ، وتركنى وانصرف ،

وانتظرت حتى حصاد قصب السكر ، عندما عادت إلى الحشرات ، وعلى راسها عنكبوت سـام ، من نوع (الأرملة السوداء) ، فأمسكت بها ، واودعتها صندوقا مغلقا بلا طعام ، وتلك الأنثى العنكبوتية من اشرس انواع العناكب المفترسة ، واكثرها سما ، ولقد حملتها فى ليلـة مظلمـة إلى منزل (ماندر) ، واطلقتها نحو فراشه ، وكان شخيره يملأ الجو .

هتف (بوند) :

ـ وماذا فعلت به ؟

ـ قتلته .. مات متاثرا بسمها ، بعد اسبوع من الالم والعذاب ، ولكننى عشت فى سلام بعد موته ، وعلمت من دائرة المعارف ان الناس تهوى القواقع النادرة ، فرحت اسعى إليهـا وابيعهـا للمعاهد البحرية والهواة ، وربحت من هذا مبلغـا كبيرا ، وقادنى البحث يوما إلى (كراب كى) ، وعثرت على ذلك النوع النادر من القواقع الوردية النادرة ، التى عادت على بمبلغ ضـخم ، دفعنى إلى البحث عن المزيد منها ، مهما كان الثمن .

ـ لقد تصورت فى البداية انك صديقة لـ (نو) ، ولكننى كنت مخطئا .

ابتسمت فى ارتياح ، وجفناها يتثاقلان ، ثم لم تلبث ان راحت فى نوم عميق ، وكاد (بوند) يستسلم للنوم مثلها ، لولا ان لمس (كواريل) كتفه فى اللحظة ذاتها ، وقال فى رعب :

— هناك شىء يبرز من المـاء ..

وكانت ليلة رعب حقيقية ..

* * *

١٢ — التنين ..

استيقظت (هنى) فزعة ، مع تلك الانتفاضة التى ندت من جسد (بوند) ، وهتفت مذعورة :

— ماذا حدث ؟

ربت (بوند) على كتفها مطمئنا ، وهو يقول :

— لا تتحركى من مكـانك يا (هنى) .. ابقى هنا وساعود بعد قليل .

واتجه مع (كواريل) إلى الأعشاب ، وراحـا يتطلعان من خلفها إلى البحيرة ..

وعلى بعد نصف كيلومتر منهما ، رايا شيئا يخرج من البحيرة ، له عينان مشتعلتان ، وفم يضخ لهيبا ازرق اللون ، ثم ظهـر جناحاه القصيران ، وراح الشىء يصدر ضجيجا هائلا ، وهو يتجه نحوهمـا بسرعة مخيفة ، كزورق بخـارى قـوى ، فهمس (كواريل) متوترا :

— يا له من حيوان رهيب !!

اجابه (بوند) فى توتر بالغ :

— إنه اشبه بمحرك قوى ، او بدبابة برمائية ، واظنه سيهاجمنا بلا رحمة ، وعلينـا ان نبحث عن

نقطة ضعف نهاجمه منهـــا .. اظنها منطقيا كابينة القيادة ، فى تلك القبة الزجاجية .. صوب سلاحك إليها جيدا يا (كواريل) ، واطلق عليها النار على نحو متصل ، وساطلق انا النار على مصابيحه عندما يقترب ، وعلى إطـــاراته ايضـــا ، فلا ريب ان له إطارات ضخمة كإطارات طائرة ، ولا ريب ايضـــا انهم سيواجهون رصاصاتنا بالمثل ، فعليك ان تنسى اسطورة التنين الزائفة هذه تماما ، وتحاول حماية (هنى) من الرصاصات ، وسنأسر هذا الشىء ، وننطلق به إلى الشاطىء .

صاح (بوند) بـ (هنى) ، يطلب منها الاختباء فى حفرة وسط الرمال ؛ لتفادى الرصاصات المتطايرة ، واتخذ لنفسه موقعا يصلح لإطلاق النـــار ، وافهم رفيقه والفتاة ان هذا التنين مجرد خدعة سخيفة ، لجأ إليها (نو) لإرهاب كل من تســـول له نفســـه التسلل إلى الجزيرة ، وتضاعف توتره عندما صار التنين الآلى على قيد ثلثمائة متر منـــه ، وانواره البرتقالية تغمر الشاطىء ، واللهب الأزرق يندفع من فمه ، عبر جهـــاز صناعى ، وبدا له ذلك التنين تحفة تكنولوچية رائعة ، كانت كفيلة بإثارة رعبه هو نفسه ، لولا صوت محركه الواضح ..

ثم بدأ القتال ..

بدأ بسيل من الرصاصات ، انهمر من مسدس (كواريل) على القبة الزجاجية ، التى صمدت أمام الطلقات على نحو عجيب ، فى حين تهشم مصباحا المقدمة ، إثر رصاصتين اطلقهمـــا (بوند) ، فعم الظلام ، وإن لم يمنع هذا التنين الآلى من التقـــدم بسرعته الجنونية ، وكان شيئا لم يحدث ، وهنـــا راح (بوند) يطلق النار على الإطارات الضخمة ، ولكن بلا جدوى ، فلقـــد كانت الإطارات من معدن قوى ، تغطيه طبقة من المطاط السميك ..

واستدارت الآلة الجهنمية نحو النقطة التى يختفى عندها (كواريل) ، وانطلق منها لسان من اللهب ، اعقبته صرخة مدوية ، ثم التفتت إلى حيث يختبىء (بوند) ، واطلقت لسانا آخر من النيران ..

تجمد (بوند) فى مكانه ، وهو يحدق فى الأسطوانة الحمراء ، التى يندلع منها اللهب الأزرق ، وســـمع صوتا من داخل التنين الآلى يقول :

ــ اخرج إلى العـــراء مع لعبتك يا رجل ، وإلا احلناك إلى كتلة من الفحم مثل زميلك .

شعر (بوند) بـ (هنى) تلتصق به من الخلف ، وجسدها يرتجف فى رعب ، ووقع فى روعة ان (كواريل) قد لقى حتفه حرقا على نحو بشع ، وبدا له ان الموت باية وسيلة اخرى سيكون اقل الما من الموت حرقا ، فامسك (هنى) فى قوة ، وخطا بها إلى العراء ، وارتفع الصوت من داخل الآلة يقول :

ــ قفا هنا .. والق سلاحك او تحترق بنيراننا .

القى (بوند) مسدسه الجديد ، وهو يسترجع ذكرى المسدس القديم ، الذى كان حجمه يسمح بالمناورة فى مثل هذه الظروف ، وقال للفتاة ، وهو يضغط كفها فى رفق :

ــ اطمئنى يا (هنى) .. سنجد مخرجا من هذا حتما .

راى فى تلك اللحظة رجلا يخرج من الآلة ، ويبدو على ضوء اللهب المتراقص عملاقا قويا ، له ملامح صينية واضحة ، وهو يصوب إليهما مسدسا ضخما ، وقد تدلى قيد حديدى من يده اليسرى ، واقترب من (بوند) ، قائلا فى صرامة :

ــ اتجه نحوى يا رجل .. وببطء .

اطاعه (بوند) ، فاحاط الرجل معصمى (بوند) بالقيد الحديدى ، وهو يهمهم بكلمات تحمل نبرة الكراهية والرغبة فى الثار ، وتركه (بوند) يتم عمله ، ثم اتجه نحو البقعة التى لقى فيها (كواريل) حتفه ، ليلقى نظرة اخيرة على جثته ، ولكن رصاصة دوت تحت قدميه ، جعلته يلتفت إلى العملاق الصينى ، قائلا :

ــ اريد ان القى نظرة اخيرة على زميلى .

اطلق الصينى ضحكة وحشية ساخرة ، وقال :

ــ فليكن .. سامنحك دقيقتين ثم اشوى جسد الفتاة .

واصل (بوند) سيره نحو الاغصان المحترقة ، ووقع بصره على ابشع مشهد يمكن رؤيته ، فتمتم فى مرارة ، محدثا جثة رفيقه :

ــ آسف يا صديقى العزيز ، ما كنت احب لك تلك النهاية البشعة .

وعاد ادراجه إلى الصينى العملاق ، الذى قاده مع (هنى) إلى داخل الآلة ، وقال فى خشونة :

ــ اجلسا ارضا ، وإياكما ولمس اى شىء ، وإلا حطمت اصابعكما تحطيما .

اطاعة الاثنان فى استسلام ، واتخذ الرجل مقعده إلى جوار السائق ، وقال :

— هيا يا (سام) .

انطلقت الآلة الجهنمية ، وهمست (هنى) فى رعب :

— إلى أين تظنهم يقودوننا يا (جيمس) ؟

بدت له شاحبة ملتاعة هلعة ، فتمتم :

— لست ادرى .. ربما إلى حيث دكتور (نو) ، ولكن لا تجعلى هذا يقلقك ، وإذا قابلنا (نو) بالفعل ، فلا تقولى شيئا ، واتركى الحديث كله لى .. وبالمناسبة ، اسلوب تصفيف شعرك يروق لى .

قالت فى دهشة :

— كيف يمكنك ان تتحدث فى مثل هذه الامور الآن ؟.. ولكن شكرا لك على اية حال ، وسأحاول الالتزام بالشجاعة ، ما دمت إلى جوارى .

حاول (بوند) خلال الحديث التخلص من الاغلال الحديدية ، ولكنها بدت له قوية متينة ، شديدة الإحكام ، فكف عن المحاولة ، وبدا له العملاق والسائق هادئين مطمئنين ، وراودته فكرة ان ينقض

عليهما من الخلف ، وينهال عليهما ضربا بالاغلال ، ولكنه لم يدر ماذا يفعل بعدها ، ولا كيف يمكنه الفرار من اى لسان لهب يطلقاه خلفه لو فعل ؛ لذا فقد استسلم لموقفه ، وراح يفحص السيارة ، التى بدت له اكبر من اية سيارة معروفة ، وانها لا تعدو كونها سيارة مدرعة ، فى ثوب تنين ؛ لإثارة الخوف والفزع فى النفوس ، ولقد صممت بحيث يمكنها السير على الرمال ، وفى المستنقعات والبحيرات ، وبدا له من دقة وروعة تصميمها وتنفيذها ان (نو) هذا عبقرية فذة جبارة ، واقلقه ان يفكر فى المصير الذى يعده له رجل مثل هذا !.. إنه سيقتله حتما ، فهذا ما فعله فى كل من اخترق عزلته ، ولكن ماذا عن (هنى) .. هل سيقتلها ايضا ، ام سيحتفظ بها كجارية له ، او لأحد رجاله الأوغاد ؟

انتبه فى هذه اللحظة إلى ان السيارة قد عبرت البحيرة ، وراحت تتخذ طريقها عبر الطريق الجبلى إلى المرتفع ، ورأى احد الرجلين يتطلع إليه ، فقال فى سخرية :

— ستحصل على قلادة ذهبية لعملك الرائع هذا .

قال الرجل فى خشونة :

ـ اصمت واغلق فمك الكبير .

همست (هنى) :

ـ لماذا يكرهوننا إلى هذا الحد يا (جيمس) ؟

ـ لاننا اثرنا الرعب فى نفوسهم ، ولم نرتجف خوفا منهم ، وهذا يغيظهم كثيرا .

اكتفت (هنى) بتلك الإجابة المبهمة ، وراحت الآلة تصعد المرتفع فى إصرار ، قبل ان ينبلج الصباح ، وتهب تلك الرياح الحارة اللافحة ، وترتفع فى الجو رائحة المستنقع الخانقة ، وتذكر (بوند) صديقه (كواريل) ، الذى ذهب شهيد الواجب ، وتذكر بوليصة التأمين الكبيرة ، التى اصر على عملها قبيل انطلاقه مع (بوند) ، ثم توقفت السيارة ، وراى (بوند) احد الرجلين يتناول مكبرا للصوت ويقول :

ـ لقد القينا القبض على (لايمى) والفتاة ، ومات الآخر .. افتحوا الابواب .

سمع (بوند) صرير باب حديدى ضخم يفتح ، وعبرته الآلة ، ثم توقفت خلفه ، وهب هواء رطب ، وشعر (بوند) بمن يسحبه خارج السيارة ، ورأى بندقية مصوبة إلى صدره ، وصوت صارم يقول :

ـ لا تتحرك .

كان هناك صينى يصوب إليه مسدسه ، وآخر يهدد (هنى) ، وبقى هو و (هنى) على هذا الحال لحظات ، داخل الكوخ الذى بدا عبارة عن ورشة إصلاح و (جراج) كبير ، حتى جاء حارس يقول :

ـ سنرسلهما إليه فى الحال .

استدار احد الحارسين إلى (بوند) ، وقال :

ـ هيا .. تحركا .

اجابه (بوند) فى لا مبالاة :

ـ بل تحرك انت ، وقل لهؤلاء القرود أن يبعدوا اسلحتهم عنا ، فقد تنطلق منهم رصاصة عفوا ، وهم يعبثون بدماهم هذه .

قال الرجل فى غضب :

ـ سيكون من سوء حظك ان يترك امرك لى ، فستعرف حينئذ كيف اتعامل مع امثالك .

ثم نقل بصره إلى (هنى) ، وسأل رفاقه :

ـ ما رايكم يا رفاق ؟

ادرك (بوند) مغزى السؤال ، فأسرع يقول :

ـ هيا يا رجال .. إن دكتور (نو) ينتظرنا .

كان لذكر اسم (نو) سحرا عجيبا ، فقد ارتبك الرجال ، واسرعوا يقودون (بوند) و (هنى) نحو باب فى نهاية الكوخ ، ودق رئيسهم جرس الباب مرتين فانفتح الباب ، وقادهم إلى ممر طويل ، انتهى إلى باب انيق ، توقف الرجال أمامه ، وقال رئيسهم:

— إلى الأمام يا مستر (بوند) .. اطرق الباب ، وستستقبلك المضيفة ، وتقوم بكل المطلوب .

تقدم (بوند) نحو البـــاب الأنيق مع (هنى) ، وسمع الباب الآخر يغلق خلفهما ، فتوقف قائلا :

— البساط سميك وناعم .. اليس كذلك ؟

ودون أن ينتظر جوابـــا ، طرق الباب الأنيق فى هدوء ..

وانتفح الباب ..

واتسعت عينا (بوند) و (هنى) إلى آخرهما .. لقد كان امامهما مشهد مذهل ..

مذهل جدا ..

***

١٣ ــ الروعة ..

كل شىء فى مقر (نو) كان رائعـــا ، مبهـــرا ، مذهلا ..

غرفة الاستقبال فسيحة ، مغطاة ببساط ضخم سميك ، وتنبعث من اركانها أضواء رائعة ، موزعة على نحو يشف عن ذوق مرهف رفيع ، وإلى يمين (بوند) كان هنا مكتب ضخم ، مغطى بمخمل اخضر ، وفوقه جهـــاز لاسلكى ، والهـــواء مكيف رقيق ، والمكان يمتلىء بزهور ونباتات الظل ، على نحـــو بالغ الروعة والأناقة ، وهناك سيدتان صينيتان ، انهمكت إحداهما فى كتابة شىء ما ، وامسكت الأخرى الباب ليدخل (بوند) ورفيقته ، وقد تملكهما انبهار كامل ، وابت السيدة الممسكة بالباب إلا أن تزيد من دهشتهما وانبهارهما ، عندما قالت فى كلمات رقيقة ناعمة مرحبة :

— يؤسفنا ان كنا نجهل موعد وصولكما .. فلقد ابلغونا انكما ستصلان مساء امس ، ولقد انتظرناكما حتى وصلتما فى موعد إفطار اليوم .. هيـــا امـــلا اوراقكما عنـــد الأخت (روز) ، وسأقودكما إلى

حجرتيكما ، لتحصلا على قدر من النوم ، بعد المجهود الذى بذلتماه الليلة .

قادتهما إلى المكتب الذى تجلس خلفه السيدة الأخرى ، وقدمت لهما عدة علب من السجائر الفاخرة ، وهى تقول :

— هذه سجائر امريكية ، وهذه إنجليزية ، وتلك تركية ، و ..

انتبهت نجاة إلى القيد فى يدى (بوند) ، فبترت عبارتها لتهتف مستنكرة :

— المفتاح يا اخت (روز) .. لقد اكدت الف مرة الا ياتى الضيوف باغلال فى معاصمهم .

أسرعت الأخت (روز) تخرج مفتاحا كبيرا من درج مكتبها ، فتحت به القيد الحديدى ، ثم القته فى سلة المهملات ، فقال (بوند) ، وهو يلتقط سيجارة :

— شكرا لك .

بدت (هنى) ماخوذة مشدوهة بما يحدثحولها ، فابتسم لها (بوند) ، وكانما يبث فيها بعضا من شجاعته ، وسمع (روز) تساله :

— ما اسمك ؟

— (برايس) .. (جون برايس) .

— عنوانك ؟

— جمعية حدائق الحيوان ، (ريجنت بارك).. (لندن) .

— الوظيفة ؟

— متخصص فى علم الطيور .

— الغرض من الزيارة ؟

— انا مندوب لجمعية (أودبون) ، جئت لتفقد مستعمرة الطيور النادرة .

— وماذا عن زوجتك ؟.. هل تهتم بالطيور أيضا ؟

— بكل تاكيد .

— ما اسمها ؟

— (هنشيبل) .

— اسم جميل هو .. من أقرب إنسان إليك ؟ هذا آخر سؤال .

اعطاها (بوند) الاسم الحقيقى لمستر (م) ، مدعيا انه عمه ، واعطاها عنوانه بصفته المدير العام لشركة التصدير العالمية ، فقالت (روز) :

ـ شكرا يا مستر (برايس) .. اتمنى لكما إقامة طيبة هنا .

وهنا ابتسمت الفتاة الأخرى (ليلى) ، وقالت :

ـ نسيت أرقام الحجرتين ايتها الأخت (روز) .

ـ الرابعة عشرة والخامسة عشرة .

ـ شكرا ايتها الأخت (روز) .. اتبعنى يا مستر (برايس) ، مع زوجتك .

قادتهما عبر ممر طويـل ، وهى تقول فى لهجة اقرب إلى الاعتذار :

ـ اعلم ان الممر طويل ، ولقـد فكر الدكتور فى تركيب ممر متحرك ، ولكن مشاغله الكثيرة منعته من تنفيذ هذا .

غمغم (بوند) :

ـ لا شك فى هذا .

وتناول يد (هنى) فى كفه ، و (ليلى) تقودهما عبر الممر الطويل ، المضاء على نحو بديع ، وراح يجيب كل تعليقاتها فى ادب جم ، وهو يتسـاءل فى اعماقه عن سر هذه الزيارة الشاذة ، وعن هـذا الاستقبال العجيب ، الذى لم يتوقعه قط ، وادرك

بغريزته انه قد انتقل من الكوخ إلى اعماق الجبل ، عبر هذا الممر ، الذى يمتد غربـا ، وبدا له الهواء نقيا منعشا ، لا اثر فيه للرطوبة أو العفونة ، وبات من الواضح ان ثروة طائلة قد انفقت لصنع هـذا المخبإ الهندسى الرائع ، وخيـل إليـه ان (ليلى) و (روز) تجهلان كل شىء عما يدور خارج الجبل تماما ، ولقد قادتهما (ليلى) حتى نهـاية الممر الطويل ، وطرقت بابا يسد الطريق ، ففتحته صينية أخرى ، انحنت فى أدب جم ، و (ليلى) تقول :

ـ هاهما ذان يا (ماى) .. مستر (برايس) وزوجته ، وهما متعبان للغاية ، ويحتاجان إلى بعض الطعام والنوم العميق .

ثم التفتت إلى (بوند) ، مستطردة :

ـ الآنسة (ماى) فتاة رائعة ، ستتعهدكمـا برعايتها وعنايتهـا ، مثلما تفعـل مع كل الزبائن الضيوف ، والمرضى .

وابتسمت (ماى) وهى تقول :

ـ ارجو لكما إقامة طيبـة ، يا سيد ويا سيدة (ماى) .

وقادتهما عبر ممر يحوى عدة حجرات ، وفتحت غرفة تحمل رقم (١٤) ، وأخرى تحمل رقم (١٥) ، ودلفت إلى الأولى ، فتتبعها (بوند) و (هنى) ، وكانت الحجرة رائعة الأثاث والرياش ، ولكنها بلا نوافذ ، وبلا مقابض للأبواب ، وعلى الرغم من هذا ، فقد هتف (بوند) :

— حجرة رائعة ، ما رأيك يا عزيزتى ؟

تحاشت (هنى) النظر إليه ، وهى تقول :

— بلا شك .

دلفت إلى الحجرة فى تلك اللحظة فتاة فى مثل جمال (ماى) ، تحمل صينية طعام ، فتراجعت (ماى) قائلة :

— الآن اترككما فى سلام ، لقد أصدر دكتور (نو) أوامره بأن تتناولا بعض الطعام ، ثم تخلدان للنوم ، وستجدان الأجراس إلى جوار الفراش ، والملابس فى الصوان . والدكتور يدعوكما لتناول طعام العشاء على مائدته الليلة ، فماذا أقول له ؟

— أخبريه أننا نقبل دعوته الكريمة بالطبع .

غادرت (ماى) الحجرة ، والتفت (بوند) نحو (هنى) ، التى بدت مشدوهة ، يدهشها كل ما يحدث

حولها ، فأطلق ضحكة عالية ، وأمسك يدها الباردة كالثلج ، وهو يقول :

— فلنتناول الطعام أولا ، وليحدث ما يحدث بعداه .

أجابت محاولة اجتلاب الشجاعة :

— إننا فى المصيدة يا (جيمس) ، وليس أمامنا سوى تناول الطعام .

راح يفحص الحجرة فى دقة ، بحثا عن سلاح ، ولكنه لم يعثر على شىء ؛ فلم يكن بالحجرة سوى ساعة كهربية ، والأبواب الخفيفة ، التى ضغطها بكل قوته ، فلم تستجب ، ولم يعد أمامه بالفعل سوى تناول الطعام ..

وعندما فعل ، راودته رغبة شديدة فى النوم ، ورأى (هنى) تتجه إلى فراشها ، وتذهب فى سبات عميق ..

وأدرك (بوند) أنه و (هنى) قد تناولا مادة مخدرة مع الطعام ، وحاول أن يقاوم رغبته الشديدة فى النوم ، وهو يزحف حتى الفراش زحفا ، ولكنه لم يكد يلقى جسده فوقه ، حتى ذهب بدوره فى سبات عميق ..



ثم اتجه نحو (بوند) ، وبدا وكانما يفحص كل دقيقة من دقائقه ، وكل خلجة من خلجاته ..

وبعد نصف الساعة تقريبا دلف رجل رفيع طويل إلى الحجرة فى صمت ، واتجه فى بطء نحو فراش (هنى) ، وانحنى يفحص الفتاة طويـلا ، ثم رفع غطاء الفراش عنها ، واستكمل فحصـها ، على ضوء مصباح مثبت على صدره ..

ولم تكن تلك اليد التى رفعت الغطاء عنها يدا بشرية ..

كانت كلابة من الصلب ، تنتهى بخطاب ميكانيكى ..

وبعد فترة من الفحص ، أعاد الرجل الغطـاء فوق الفتاة ، ثم اتجه نحو (بوند) ، وبدا وكانما يفحص كل دقيقة من دقـائقه ، وكل خلجـة من خلجاته ، وفحص نبضه وقلبه وعضلات ذراعيـه وساقيه ، ثم فحص خطى الحياة والقدر فى خطوط كفه ، واخيرا اعاد الغطاء على جسـد (بوند) ، وغادر الحجرة فى خفة ..

خفة فهد مفترس ..

* * *

١٤ ـ اللقـاء ..

راحت أسراب الطيور تحلق فى سماء الجزيرة ، وغطت قمة الجبل بمخلفاتها البيضاء ، وهى تروح فوقها وتجىء ، إيذانا ببدء موسم التزاوج والتكاثر ، حيث تضع كل أنثى ثلاث بيضات كبيرة ، ويبدأ جيل جديد ..

وكانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة والنصف عصرا ، عندما بدأ مائة عامل وعاملة رحلة عودتهم ، بعد يوم من العمل الشاق ، حفروا خلاله مائتى متر مكعب من مخلفات الطيور ، وسط رائحة نشادر نفاذة ، وغدا تصل سفينة نقل سماد الطيور ، التى ينتظرها العمال بفارغ الصبر ؛ للحصول على المكافآت ، وكئوس الشراب ، فى تلك المناسبة التى لا تتكرر كثيرا ..

وفى ذلك الوقت استيقظ (بوند) ، وشعر بصداع شديد فى رأسه ، ووقع بصره على (هنى) ، وقد استيقظت ، وارتدت زيا صينيا ، وراحت تختال به أمام المرآة ، فضغط زرا مجاورا الفراش ، طالبا لشىء من الطعام ، وقد لاح له أن أحدا قد أزال بواقى طعام الإفطار .. ولقد استجابت (ماى) إلى

نداء الجرس ، وظهرت مع فتاتين جميلتين ، طلب منهما (بوند) بعض الشاى ، وسألهما أن يقوما بتهذيب شعر (هنى) وقص أظفارها ، فأومأت (ماى) برأسها إيجابا ، وسألته :

ـ الدكتور يسأل : هل يناسبك موعد فى الثامنة إلا الربع لمقابلته ؟

أجابها (بوند) فى حماس :

ـ بالتأكيد .

ابتسمت فى امتنان وهى تنصرف ، تاركة الفتاتين للعناية بـ (هنى) ، وجلس (بوند) يراقب عملهما ، وعيناه تتابعان المقصات الصغيرة وهى تعمل ، حتى انتهيا من عملهما ، واقترب موعد مقابلته مع (نو) ، فارتدى بدوره زيا صينيا ، وجلس صامتا ، حتى وصلت (ماى) ، فتبعها فى هدوء ، وهو يفكر فى عمق ، حتى توقفت (ماى) عند باب مصعد ، انفتح على مصراعيه من تلقاء نفسه ؛ وبدا كل شىء لـ (بوند) متقنا ، يشف عن ثراء (نو) الفاحش ، وغمغم لـ (هنى) :

ـ أشعر بصداع شديد .

التصقت به ، وهى تقول :

ـ أرجو أن يفارقك الصداع بسرعة يا (جيمس) .

ـ شكرا يا عزيزتى .. حاولى الليلة الا تبدى الكثير من الاهتمـــام بدكتور (نـــو) ، وحاولى أن تكونى طبيعية ، فالرجل مجنون حتما .

توقف بهما المصعد بعد عدة أمتار ، وانفتح آليا ، فبدت لهما حجرة مكتب ضـخمة فاخرة ، ازدحمت جدرانها بالكتب والمجلات ، فيما عدا جدارا واحدا ، صنع بأكمله من الزجاج ، وبدت خلفه اسماك تسبح فى نعومة وليونة ، وفى اعـلاه بـدا قرار زورق ، وامواج تضرب صفحة الزجاج ، وفوقها قبة السماء الزرقاء ..

وادرك (بوند) ان الحجرة تحت مستوى الماء ، وان جدارها هذا مصنوع من زجاج سميك ، فراح يحدق فى المشهد مبهوتـــا ، ورأى من خلف الزجاج سمكتين من اسماك القرش ، اختفتا فى سرعة ، واطفئت انوار الحجرة كلها دفعة واحدة ..

وتوقع (بوند) أن يظهر (نو) مع الظلام ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، وعـــاد الجدار الزجاجى يجذب انتباه (بوند) مرة أخرى ، وراح يتساءل كم تكلف صنع تلك المعجزة الهندسية ، وكم تكلفت من اموال ، وفجأة ارتفع من خلفه صوت يقول :

ـ مليونا من الدولارات .

استدار (بوند) و (هنى) يتطلعان إلى دكتور (نو) ، بقامته الطويلة النحيلة ، فابتسم هذا الأخير مستطردا :

ـ هـــذا هو السؤال الذى يدور براس كل من يشاهد حائطى هذا .. كم تكلف من أموال .

تقدم (نـــو) نحوهما فى بطء ، وخيل إليهما انه ينزلق ، ولا يسير على قدمين ، وكان من الواضح انه طويل القامة على نحو بالغ ، وأنه يفوق (بوند) بخمسة عشر سنتيمترا تقريبا ، وكان أصلع تماما ، أصفر البشرة ، لا يشف وجهه عن عمره أبدا ، له حاجبان أســـودان ، وعينان كبيرتان بلا أهداب ، وأنف صغير دقيق ، يعـــلو فما واسعا ، ولم تنجح الابتسامة الكبيرة فى إخفاء صرامته وقسوته ، وهو يقول :

ـ يؤسفنى أن أعجز عن مصافحتكما ، فلست أملك يدين .

وأبرز معصميه ، وقد اتصلت بهما كلابتان من الصلب ، رفع إحداهما فى وجه (هنى) ، مستطردا :

ـ للأسف .

ثم التفت إلى (بوند) ، وقال :

ـ هل راقت لك مشاهدة اسماكى ؟

اجابه (بوند) :

ـ لست اظن المرء يمل ابدا الجلوس فى حجرتك هذه يا سيدى .. اهنئك عليها .

قال (نو) فى برود ، وكانما لم يسمع تعليق (بوند) :

ـ هيا يا سيدى .. اجلس .. امامنا وقت قصير وحديث طويل .

قالها وجلس على مقعد جلدى فاخر ، وجلس (بوند) امامه ، فى حين جلست (هنى) بينهما ، ولمح (بوند) صينيا قصيرا يقف خلفه ، مرتديا سروالا اسود وقميصا ابيض ، وقال (نو) :

ـ إنه حارسى الخاص ، وظهوره المفاجىء يعود إلى اننى احمل جهازا سريا ، يمكننى من استدعائه وقتما اشاء .. قل لى : اى شراب تفضل الفتاة ؟

طلبت (هنى) اى مشروب مرطب ، فى حين طلب (بوند) كوكتيلا ، فقال (نو) :

ـ من الواضح انك رجل يعرف هدفه تماما ، ولكن الا يحدث أن يسعى شخص ما نحو هدف محدود ، فيناله غيره ؟.. إنه مبدئى .. اعطنى

محورا للارتكاز ، وانا احرك العالم كله .. ولكن دعنا من هذا الحديث الهامشى ، ولنناقش ما يعنينا .

واعتدل ، ومال إلى الأمام ، وتطلع إلى وجه (بوند) ، مستطردا :

ـ والآن ما رايك فى ان نكشف أوراقنا بكل صراحة ، يا مستر (جيمس بوند) ، يا رجل المخابرات البريطانية ؟!

ورفع إحدى كلابتيه إلى اعلى ، وقال :

ـ سابدأ انا ، فاقول الصدق ، وكل شىء غير الصدق ، وعليك أن تحذو حذوى ، ولكن حذار ، فكلابتى تكشف الكذب بسرعة .

ارتشف (بوند) كأسه دفعة واحدة ، وادرك انه لو صارح (نو) بقصة الطيور هذه فلن يصدقه هذا الأخير ؛ لذا فقد ابتسم ، وقال :

ـ فلتعلم ان عميلتك (تارو) فى (كنجز هاوس) قد انكشف امرها .

لم يبد اى اهتمام على وجه (نو) ، فتابع (بوند) :

ـ لقد فقدت يديك فى الحرب ، وكثيرون اصابهم هذا ، ولكنك وحدك تستخدم كلابات قوية كهذه ، وتضع عدسات فى عينيك ، بدلا من المنظار العادى ،

وعلى صدرك جهاز تستدعى به حارسك الخاص ، ولست اشـك فى انك تملك مجموعـة اخـرى من الالاعيب ، ولكنك مازلت بشريا مثلنا ، تأكل وتنام ، ولا داعى لمحاولة إبهارنا هذه .

ـ حديثك شجاع يا مستر (بوند) ، وساتغاضى بالطبع عن سخافته ، على الرغم من اننى رجل يقدر الفن ، وساقص عليك قصة لم اقصها على مخلوق من قبل ، لعل هذا يسرك انت والفتاة .

قال (بوند) :

ـ لا شان لى بالفتاة ، لقد عثرت عليها تجمع المحـار والقواقع على الشـاطىء امس ، ولكن رجالك حطموا زورقهـا ، فاضطررت لاصطحابها معى ، والافضل أن تطلق سراحها ، وأؤكد لك انها لن تنبس بحرف واحد .

ولكن (هنى) قالت فى عناد :

ـ بل سأتكلم ، وساقول كل شىء ، ولن اغادر المكان وحدى ، بل سأبقى إلى جوارك .

قال (بوند) فى صرامة :

ـ ومن قال إننى اريدك ؟

قاطعهما (نو) فى هدوء :

ـ لا داعى للجدال ، ما من مخلوق يطأ جزيرتى ويعود سالمـا ..

تطلع إليه (بوند) لحظة ، ثم هز كتفيه ، والتفت إلى (هنى) ، وابتسم قائلا :

ـ لا بأس يا (هنى) ، ستبقين معنا ، ونستمع إلى هذا المجنون .

لم يبد على (نـو) انه قد سمع العبارة ، او حتى انه يهتم بها ، فقد قال فى هدوء ناعم مخيف :

ـ كل العظمـاء والفلاسفة والقادة مجانين ، يدفعهم نوع من الجنون كالطاقة إلى الأمام .. وانا مجنون بالقوة .. عاشق لها ، ومن اجلها امتلكت هذا المكان ، ومن اجلها جئت انت إليه .

ملأ (بوند) كأسه مرة اخرى ، وقال :

ـ هـذا لا يدهشـنى يا دكتـور (نـو) ، فمستشفيات الأمراض العقلية تزخر بأمثالك ، ممن يتصورن انفسهم ملوكا واباطرة ، ويحلمون بالقوة وهم رهناء محابسهم مثلك .

ـ القوة عرش كبير يا مستر (بوند) .. لقد قال (كلوزفيتز) إن بناء القاعدة هو الذى يصنع القوة ، وهذا ما فعلته انـا . ولست اذيع سرا ،

لو قلت إننى قد حققت المعجزة بعقلى الجبار ، وإنه ما من مخلوق فى العالم يملك قوتى وسطوتى ، فحتى الملوك والأباطرة يعتمدون على جيوشهم وشعوبهم، أما أنا فأعتمد على نفسى اعتمادا كاملا ، واحتفظ بقوتى على نحو لم يبلغه إنسان أو شيطان .

— إنه مجرد خداع قوة يا (نو) ، فالممسك بمسدس قوى يمكنه ان يقتل من يقف أمامه فحسب .. انت مجرد قاتل مثل عشرات القتلة ، الذين ارتكبوا جرائمهم ، دون ان تنالهم يد العدالة ، ولكنهم لاقوا مصيرهم المحتوم فى النهاية .. صدقنى يا رجل .. القوة كلها مجرد لفظ مخادع .

— وكذلك الجمال يا مستر (بوند) .. والثراء .. والموت .. وربما الحياة ايضا .. كلها أمور نسبية ، وعبثك بالألفاظ لا يبهرنى ، فأنا اكثر منك معرفة بالفلسفة والمنطق ، وثق أن حديثنا لن يبدل فلسفتى أو نظرتى للحياة ؛ اذا استمع إلى قصتى فحسب .

صمت لحظة ، ثم أضاف :

— كنت الابن الوحيد لرجل دين نظامى ، وأم صينية من (بكين) ، ولكننى تربيت فى بيت خالتى ، مفتقرا إلى رعاية الأب وحنان الأم ، ولقد دفعنى

هذا إلى الانضمام لجماعات (التونج) ، حيث المؤامرات والسرقات والقتل ، حتى انهارت عصابات (التونج) ، فهربت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وعشت طويلا فى (نيويورك) ، وبناء على توصية من احد كبار رجال (التونج) تم تعيينى كاتم اسرار ، وامينا لصندوق من صناديق المال يحوى مليونا من الدولارات ، وعندما اشتعلت الحرب بين حزبى (التونج) (هيبسينجز) و (اون لى اونجز) ، تحطم كل شىء ونهب ، فسرقت المبلغ ، واختفيت فى حى (هارلم) ، وكان ينبغى ان اغادر (امريكا) كلها ، فقد نشطت عصابات (التونج) فى البحث عنى، حتى عثروا على ، وراحوا يعذبوننى فى قسوة ، ويسألوننى عن مخبإ الذهب ، دون ان امنحهم جوابا شافيا ، فقطعوا يدى ، وأطلقوا النار على قلبى وذهبوا .. ولقد انقذنى جهلهم بطبيعتى النادرة ، حيث إن احشائى كلها معكوسة ، وقلبى فى الناحية اليمنى ، وهى حالة نادرة ، تحدث بنسبة واحد إلى المليون .. وساعد تمسكى بالحياة على شفائى ، بعد شهور فى المستشفى ، ورحت افكر فى وسيلة للفرار خارج البلاد بالمليون دولار ، واتساءل عما ينبغى أن افعله بها .

توقف (نو) ، واغمض عينيه طويلا ، وكأنما يسترجع ذكريات عسيرة ، وخطر ببال (بوند) ان يهاجمه ويقتله ، إلا ان (نو) فتح عينيه مرة اخرى ، وقال :

— وعندما غادرت المستشفى يا مستر (بوند) كنت قد وضعت خطتى ، فذهبت إلى اكبر تاجر طوابع فى (نيويورك) ، وابتعت مظروفا يحوى اكثر الطوابع ندرة فى العالم ، وكذلك فعلت فى (لندن) و (باريس) و (زيورخ) ، ورحت ابدل فى هيئتى ، فاقتلعت شعر رأسى من جذوره ، واجريت جراحة تجميل لأنفى الأفطس ، فصار دقيقا ، وارتديت كفين صناعيين من الشمع داخل قفازين ، واطلقت على نفسى اسم (جوليوس نو) ، وأبدلت بمنظارى عدستين قويتين ، ثم التحقت بكلية الطب فى (ميلواكى) ، وهناك .. بين المجلدات الضخمة والمعامل الكبيرة درست خصائص وأسرار الجسد البشرى والعقل ، ومدى احتمال هذا الأخير ، وبعدها بدات تجاربى حوله ، وبدأ السعى نحو القوة والسيطرة المطلقتين .

صمت لحظات ، ثم اضاف :

— لن اثقل عليكما بحديث طويل .. لقد انهيت

دراستى ، وطفت العالم حاملا لقب دكتور (نو) ؛ لأن الأطباء يحظون باحترام الناس ، وبالبعد عن الشبهات كثيرا ، ورحت ابحث عن مركز قيادة بعيد عن اهوال الحرب ، حتى عثرت على (كراب كى) ، وابتعتها ، وقضيت فيها أربعة عشر عاما دون منغصات ، ووجدت لدى ثروة من مخلفات الطيور لا تكلف قرشا واحدا ، ولكننى كنت احتاج إلى عمال ، فاستقدمت مائة عامل وعاملة من (جامايكا) ، وصنعت مجتمعا معزولا ، يحصل العامل فيه على ضعفى اجره خارجه ، واستقدمت عددا من الصينيين وعائلاتهم لمراقبة العمال ، وهم غلاظ القلوب يعتمد عليهم كثيرا ، وبعدها اضفت إليهم المهندسين ، وبدأ العمل فى الجبل ، وفيه صنعت قلعتى ، ومستشفى كاملا لإجراء العمليات الجراحية ، وحصنا حصينا ، وخطوتى التالية هى ان امد سلطانى إلى العالم اجمع .

جرع كأسه دفعة واحدة ، قبل ان يواصل :

— الحادث الوحيد الذى كاد يعكر صفو حياتى هو ظهور الطائر الملعقى فى الجزيرة يا مستر (بوند) ، واهتمام حمقى جمعية (اودبون) به .. لقد تركتهم وشأنهم فى البداية ، ومنعت رجالى من

الاتصال بحارسى المستعمرة ، او من يفد من علماء الطيور ، وكذلك حذرت هؤلاء من الاقتراب من منطقتى ، ولكن ذات يوم وصلنى خطاب يقول : إن الطائر الملعقى هذا قد صار اندر الطيور فى العالم على الإطلاق ، وإن جمعية الحمقى هذه تنوى بناء فندق هنا ، يرتاده محبو الطيور النادرة ، وإن افلاما سينمائية سيتم تصويرها ، وما إلى ذلك .. تصور هذا يا مستر (بوند) !!.. بعد أن كافحت سنوات لأصنع قلعتى السرية ، ينهار كل شىء بسبب مجموعة من العجائز ، ترغب فى مشاهدة بعض الطيور النادرة !!.. ولقد حاولت فى البداية منع حدوث ذلك بكل الوسائل القانونية ، وحاولت شراء المنطقة من جمعية (اودبون) بمبلغ ضخم للغاية ، ولكنهم رفضوا عرضى ، وهنا رحت ادرس كل ما يتعلق بالطيور الملعقية ، وعندئذ بدا لى الحل سهلا ميسورا ، فالطيور السخيفة يعتريها الخوف بسرعة ، وهكذا صنعنا ذلك التنين ، الذى بث الرعب فى قلوب الطيور ، وسحق المعسكر وحارسيه ، وراحت الطيور تفر وتموت بالآلاف ، حتى وصلتنى برقية تفيد وصول رجلين من جمعية (اودبون) على متن طائرة ، ورايت من الحكمة ان

اوافق فوافقت ، ودبرت حادثا اباد الطائرة ، وحطمها تحطيما ، واحتفلنا بالجثتين احتفالا مهيبا ، ووجدنا تفسيرا منطقيا لحادث الطائرة ، وآخر لمصرع حارسى مستعمرة الطيور ، وهكذا عاد السلام إلى ارضى ، واظن جمعية (اودبون) ستقبل عرضى هذه المرة ، وإلا فإنها ستتعرض إلى حرب شعواء ، لن ينعم بها احدهم قط .

قال (بوند) :

ـ قصة طريفة ، ولكن لماذا تخلصت من (سترانجوايز) والفتاة ؟ ماذا فعلت بهما .

ـ إنهما يرقدان الآن فى قرار نهر (موناريزرفوار) ، فلقد بدا (سترانجوايز) يشك فى اعمالى ، وكان لابد له من هذه النهاية مع سكرتيرته ، وكان من الممكن ان افعل الشىء نفسه معك ، ولكننى علمت طبيعتك ، من ذلك الملف الذى اخذناه من (كنجز هاوس) ، وادركت ان الذبابة ستلقى نفسها بإرادتها بين خيوط العنكبوت ، وما إن ظهر قاربك على الرادار ، حتى ادركت انك قد وقعت ، ورحت استعد لاستقبالك .

ـ لم يكن رادارك محقا ، فلقد التقط شراع

قارب الفتاة ، وانا أؤكد لك للمرة الثانية انه لا شأن لها بالأمر مطلقا .

— إنه ســوء حظها إذن ، فأنا أحتاج إلى فتـــاة بيضـــاء لتجربة صغيرة .. ولقد قلت لك من قبل يا مستر (بوند) إن الإنســـان يحصـــل دوما على ما يريده .

تمنى (بوند) لحظتها لو يقتل (نـــو) ، ولكنه شعر بعجزه عن هذا فى الوقت الحالى ، فلجأ إلى وسيلة أخرى ، وهو يقول :

— لن يصاحبك الحظ دوما يا (نـــو) .. هناك ملف خاص عنك ، دونت فيـــه حادث الطـــائرة ، ومصرع حارسى مستعمرة الطبـــوز ، وبه اســماء الآنسة (شوبك) و (نارو) .. ودعنى أخبرك بكل صراحـــة أن التعليمات قد صـــدرت فى (جامايكا) لمهاجمة (كراب كى) ، لو لم أعد خلال ثلاثة أيام .

لم يبد على وجه (نو) اى اهتمام بحديث (بوند) ، الذى تابع :

— ومن أجل هـــذه الفتاة فقط سأتفاوض معك يا (نـــو) . حســـنا .. ما قولك فى أن تعيدنا إلى

(جامايكا) سالمين ، ثم امنحك اسبوعا كاملا لتغادر (كراب كى) بطائرتك ، تاركا كل شىء خلفك ؟

لم ينطق (نـــو) بحرف واحـــد ، ولكن نظراته اتجهت إلى نقطة ما خلف (بوند) ، وكذلك اتجهت نظرات (هنى) إلى النقطة نفسها فى رعب ..

والتفت (بوند) فى حدة ..

ورأى ما يتطلعان إليه ..

كان يقف خلفه الحارس الخاص لدكتور (نو) ، وإلى جواره رجل مفتول العضلات صارم الملامح ..

لحظتها أدرك (بوند) الجواب ..

جواب دكتور (نـــو) ..

* * *

١٥ ــ مخالب ..

« العشاء معد يا سيدى .. » .

نطقها الحارس الخاص لـ (نو) فى هدوء ، يخالف الصرامة المرتسمة على ملامحه وملامح زميله ، وتنفس (بوند) الصعداء ، وتراخت عضلاته المتوترة ، عندما قال (نو) فى هدوء وبساطة :

ــ إنها التاسعة إذن .. هيا .. سنتم حديثنا حول المائدة .

لم يكد يتم عبارته حتى انزاح الحائط من خلف الحارس وزميله ، وتبع (بوند) و (وهنى) (نو) ، عبر الفجوة ، إلى حجرة خشبية انيقة ، تتدلى من سقفها ثريا ضخمة ، على هيئة شموع مشتعلة ، وتحتها مائدة مستديرة ، معدة لثلاثة اشخاص ، وأرضها مفروشة ببساط ازرق سميك ..

واتخذ (نو) مقعدا متوسطا ، بحيث جلست (هنى) إلى يمينه ، وجلس (بوند) إلى يساره ، وبدت الحجرة على الرغم من بساطتها ــ شديدة الجمال والذوق ، على حد يكفل لها منافسة افضل قاعات (هوليود) ، وراح الحارسان يخدمان

المجموعة الصغيرة فى مهارة وسرعة ، وسرى جو مرح فى أثناء العشاء ، على نحو جعل الأمر يبدو وكأنه دعوة بين أصدقاء قدامى ، وتساءل (بوند) عما إذا كان حديثه قد وجد صدى فى نفس (نو) ، ثم تساءل عما سيفعله (نو) معه ومع الفتاة !.. هل سيقتلهما حقا ؟!

لم يقلقه الأمر بقدر ما راح يدرسه ، متسائلا عما إذا كانت (لندن) ستلتقط الخيوط التى أمسكها هو أم لا ؟.. هناك على أية حال (بليدل سميث) ، والفاكهة المسمومة ، و ... لا .. إن (نو) شديد الثقة بنفسه ، وشديد المهارة فى الوقت ذاته .. إنه سيجيب فى بساطة : « لم أسمع قط عن (كواريل) أو (بوند) .. » ، ولن يكون هناك مجال لتكذيبه .. أما بالنسبة لـ (هنى) فلن يربط مخلوق واحد بينها وبينه ، ولن يبدو اختفاؤها عجيبا أو مثيرا .. سيظن الناس أنها قد غرقت فى أثناء بحثها عن القواقع والمحارات النادرة ، ومن المستحيل فى الوقت نفسه أن يتنبأ بمصير (نو) ، فالأمور الخاصة بهذا الرجل لا تزال مبهمة غير واضحة ..

وحاول (بوند) أن يشغل (هنى) بالحديث عن الطيور والحشرات ، وانتهز فرصة وجود سكين



رفع يده اليسرى ، وترك السكين يسقط فى كمه الواسع ، ويستقر عند ضلوعه ، وتظاهر بشد الحزام ..

الخبز فى يده ، فأسقط كأسه عمدا ، وفى غمرة الارتباك الوقتى ، الذى احدثه تحطم الكأس ، واعتذار (بوند) الشديد ، وتأسفه المبالغ فيه عما سببه من فوضى ، رفع يده اليسرى ، وترك السكين يسقط فى كمه الواسع ، ويستقر عند ضلوعه ، وتظاهر بشد حزام الثوب الصينى حول وسطه ، وثبت السكين أسفل الحزام فى ارتياح ..

ولم يكد العشاء ينتهى حتى وقف الحارسان خلف (بوند) وزميله ، وقد عقدا ساعديهما أمام صدرهما ، وقال (نـو) فى جمود :

ــ هل راق لك طعام العشاء يا مستر (بوند) ؟

التقط (بوند) سيجارة من صندوق سجائر (نو) الفضى ، واشعلها فى هدوء ، وهو يشتم رائحة الغدر مختلطة بدخانها ، عبر صوت (نـو) ، وقرر ان يحصل على قداحة السجائر كسلاح آخر ، وهو يقول :

ــ إنه عشاء ممتاز بحق .

ثم التفت إلى (هنى) ، واستطرد وهو يخفى القداحة فى مهارة :

ــ اليس كذلك ؟

تمتمت (هنى) فى قلق :

ـ هذا صحيح ..

ابتسم لها لحظة ، ثم التفت يسأل (نو) :

ـ ماذا سيحدث الآن يا دكتور (نو) ؟

ـ لقد فحصت اقتراحك من كل الوجوه يا مستر (بوند) ، ولم اقبله شكلا او موضوعا .

ـ قرار غير حكيم يا دكتور (نو) .

ـ ربما يا مستر (بوند) ، ولكننى اشك فى اقوالك ، فرجال مهنتك لا يلقون مثل هذه المقترحات ، ومن المعتاد ان يبلغوا رؤساءهم تفاصيل ونتائج مهماتهم ، ويبدو انك تسرف فى مطالعة القصص البوليسية يا مستر (بوند) ، فالأمور لن تتعقد ابدا كما تظن .. ربما يصل رجال الشرطة والجيش ، ويسألون : أين الرجل والفتاة ؟.. ماذا ؟.. رجل وفتاة ؟!.. لست ادرى شيئا عنهم .. هيا .. انصرفوا بسرعة ، فليس لدى وقت أضيعه فى تفاهات واتهامات جوفاء ، لا تستند إلى اية ادلة مادية .. اعطونى دليلا واحدا .. مجرد دليل .. ارايت يا مستر (بوند) ؟.. الامر ابسط من ان نلجأ إلى تعقيده .. والآن هل لديك سؤال آخر ، أو كلمة تحب توجيهها إلى ؟.. هيا .. الوقت

يقصر كثيرا ، وستصل سفينة الشهر غدا ، وانا احتاج إلى قدر من النوم .

تطلع (بوند) إلى (هنى) ، ورآها شاحبة كالموت ، تحدق فيه فى رجاء ، وكأنما تستعطفه أن ينقذها ، فقال :

ـ حسنا .. ماذا ينتظرنا ؟.. ما الفصل الثانى ؟.. كيف ستحصل على القوة ؟

ـ آه .. انت تشعر بالحيرة حتما يا مستر (بوند) ، ولا يمكنك مقاومة عادة إلقاء الأسئلة ، حتى وانت قيد خطوة واحدة من الموت .. لا باس يا مستر (بوند) .. ساخبرك بكل ما ترغب فى معرفته .. ستكون هذه الجزيرة منارة إشعاع الحضارة والمعرفة للعالم كله .. هل تعلم ان جزر (ترك) ، التى تبعد عنا ثلثمائة كيلومتر ، هى أهم مراكز اختبارات الصواريخ الموجهة ؟.. لا شك انك قد سمعت عن الصواريخ التى فقدت فى الجو ، والتى رفضت الإصغاء لأوامر التوجيه ، وأبادت نفسها فى الجو .. هل تعلم السبب المباشر لهذا الفشل يا مستر (بوند) ؟. إنه جزيرة (كراب كى) .

ـ اى قول هذا ؟

— إنه قول عسير الفهم ، ولكنه بسيط تكنولوجيا ، فهناك طاقم من رجالى يتابع إطلاق الصواريخ ، وطاقم آخر يختبىء مع معدات يفوق ثمنها المليون دولار ، فى باطن الجبل ، ومهمته هى انتظار انطلاق الصواريخ ، ثم إرسال موجة ذبذبة قوية تعوق طريقها ، وتسقطها فى الاطلنطى ، بعد ان نصيبها نحن بجنون إليكترونى ، ونحدد موضع سقوطها بمنتهى الدقة ، ونتأكد من اننا نستطيع تبديل مسارها يوما ، وتوجيهها نحو الهدف الذى نختاره لها ..

— هل ستقتل نصف العالم لتحقيق اغراضك ، وتبنى مجدك الزائف يا دكتور (نو) ؟.. اراهنك ان اول رصاصة تخترق صدرك ستكون من احد رجالك ، بعد ان زرعت كل هذا الشر فى نفوسهم .

— لست تفهم شيئا يا مستر (بوند) .. إنك غبى وعنيد .. لقد عزلت احد رجالى عن الآخرين ، وكلهم يتصورون انه قد مات ، وهو يحمل نسخة من الشفرة التى نتصل بها بعملائنا فى مركز إطلاق الصواريخ الموجهة ، ومهمته مراقبة كل ما يدور هنا سرا ، ويسلمنى فى كل مرة نسخة من الرسائل

المتبادلة .. كل الرسائل ، وحتى الآن لا توجد فى الجو رائحة مؤامرة .

— لست اقلل من شأنك يا دكتور (نو) ، فانت رجل شديد الذكاء والحذر ، كما يبدو واضحا ، ولكن من عاش بالسيف مات بالسيف .. ودعنى اؤكد لك امرا .. إن القسم الذى أعمل فى خدمته سينهض كالمارد ، لو اصابنى مكروه ، انا أو (هنى) ، وسيحيل جزيرتك هذه إلى فتات .

— لا تحاول ان تلعب لعبة كبيرة يا مستر (بوند) ، ولا تتوقع حدوث معجزة ، فانا مستعد لكل الأخطار والنتائج ، ولقد اعددت لكل شىء عدته .. لقد وجدت الوسيلة للتحكم فى مسار الصواريخ ، وإسقاطها بالقرب من الجزيرة لدراسة تركيبها ، بل تبديل مسارها إلى حيث اريد ، وانت تعلم كم سيسبب صاروخ ضخم موجه من خسائر ، فى الأرواح والمعدات .. والأدهى ان العدو مستعد دوما لدفع مبالغ باهظة ، للوقوف على ما توصل إليه خصمه ، فى مجال الحرب والفضاء ، وكم تظنه يدفع مقابل الصاروخ الواحد ؟!.. خمسة ملايين ؟.. عشرة ؟.. تهديدك إذن لا يساوى شيئا امام كل هذا يا مستر (بوند) .

استمع إليه (بوند) ، وهو يذكر فى انه سيلقى مصرعه بعد قليل ، متخما باسرار (نــو) ، وحصنه الحصين ، فأسرع يرتشف ما تبقى من كأسه ، وهو يقول :

— حســنا يا دكتور (نــو) .. لقــد سئمت حديثك .. كيف تود قتلنا .. بخنجر ام مسدس ام سم زعاف ؟. هيا .. اخبرنى بسرعة .

اربد وجه (نــو) ، واحتقن غضبا ، وبإشارة منه امسك حارساه بـ (بوند) و (هنى) ، وامسك (بوند) القداحة فى قبضته بقوة ، وابتسم لـ (هنى) ، قائلا :

— معذرة يا عزيزتى .. يبدو ان حياتينا ستنتهيان الآن .

اطل الرعب واضحا من عينى الفتــاة ، وهى تقول :

— هل سيؤلمنى القتل ؟

انفجر (نــو) كالعاصفة :

— اشد الألم .. إننى اعشق إيــلام الآخرين ، واقضى جل وقتى فى دراسة قدرة الجســد البشرى على احتمــال الألم ، واقوم بتجــاربى على كل من

يوقعه القدر فى طريقى ، ويوما ما ستقود تجــاربى العالم كله ، إلى حضارة جديدة ، مثلما فعلت تجارب الألمــان على البشر قديما .. لقــد اجريت تجربة يوما على امرأة زنجية ، استغرقت خلالهــا ثلاث ساعات ، قبل ان تقضى نحبها من شــدة الرعب ، وكنت ابحث عن فتاة بيضاء لإجراء التجربة نفسها ، ولقد قادك القدر إلى ..

جلس متطلعا إلى الفتاة المذعورة ، وبدا وكأنما يتلذذ برعبها ، وهو يستطرد :

— انت تعلمين حتما ما اعنيه ، فهــذه الجزيرة تسمى (كراب كى) ؛ لأنهــا تزدحم بما يعــرف فى (جامايكا) باسم (سرطان البحر الأسود) ، وهو كائن بحرى يملك مخالب قوية حــادة ، وهو يزور الجزيرة بالآلاف ، فى مثل هذا الوقت من العام ، على هيئة جيوش رهيبة مخيفــة ، تختفى بين شــقوق المرجان ، وتنشط فى الليل بحثا عن طعام تفترسه ، والليلة ستعثر على امرأة بيضاء بضة ، وستمزقها بمخالبها شر ممزق .

اطلقت (هنى) صرخة رعب هائلة ، وبدت وكأنما ستفقد وعيها ، فقاوم (بوند) عبثا ذراعى سجانه ، وهو يصرخ :

ــ ايها الوغد الزنيم .. سأرسلك إلى الجحيم من اجل هذا .

ابتسم (نو) ابتسامته الواثقة ، وهو يقول :

ــ لست أومن بوجود الجحيم يا مستر (بوند) .. ولا تقلق بشأن صديقتك كثيرا ، فنبض العروق يجذب (السرطان الأسود) عادة ، وقد يبدأ فى التهام قلب صديقتك أولا ، فلا تتجشم عذابا طويلا ، قبل أن تلقى مصرعها .

ثم اضاف عبارة باللغة الصينية ، فحمل الحارس الآخر الفتاة ، وكأنما هى دمية صغيرة ، وغادر الحجرة ، فى حين تضاعف شعور (بوند) بالسكين الملتصق بمعدته ، والقداحة المستقرة بين اصابعه ، وتمنى لو يبدأ هجومه على (نو) الآن ، وسمع هذا الأخير يقول :

ــ قلت لك إن القوة خادعة يا مستر (بوند) ، ولكن دعنا من الفتاة الآن ، ولنناقش مصيرك انت .. إننى مغرم فى الواقع بتشريح الجسد البشرى ، وبدراسة قدرة المرء على ممارسة شجاعته واحتمال آلامه ، وهذا يحتاج إلى ان يواجه المرء صراعا ما .. وهذا ما سيحدث لك .. سنجرى

عليك تجربة فريدة ، فانت الآن قد تناولت طعاما جيدا ، وحصلت على قدر كاف من النوم ، وستبدأ الآن تجربة نادرة ، لم يواجهها إنسان من قبل ، واعدك ان اقوم بتشريح جثتك فى حال مصرعك ، لمعرفة سبب فشلك فى التجربة .

وفى هدوء ، نهض (نو) من مقعده ، واتجه نحو باب الحجرة ، والتفت إلى (بوند) وقال فى هدوء ، وهو يسلط نظرة قوية على وجهه :

ــ حظا سعيدا يا مستر (بوند) .

وأوصد الباب خلفه فى إحكام ..

وفى نفس اللحظة سمع (بوند) صوت خادم المصعد من خلفه يقول :

ــ هيا يا مستر (بوند) .

وبكل هدوء اتجه (بوند) نحو المصعد ، مع حارسه ..

ونحو المجهول ..

* * *

١٦ ـ التجربة ..

توقف العامل أمام أزرار المصعد ، حتى يخفى عن (بوند) اتجاهه ، والدور الذى سيبلغه ، ولكن (بوند) استنتج الجوابين بتقدير الحركة والمسافة ، حتى توقف المصعد أمام ممر طويل مغطى بسجاد سميك ، فسار (بوند) عبر الممر الطويل ، وبدا له من الصوت المنبعث من خلف بعض الأبواب المغلقة ، أنه قريب من حجرة الآلات ، التى تدير كل هذا الوكر العجيب ، وكانت الأبواب تحمل حروف الهجاء بالترتيب ، ولم يكد حارسه يلمح الباب الذى يحمل الحرف (ك) ، حتى دفع (بوند) داخل الحجرة المفتوحة ..

ووجد (بوند) نفسه داخل زنزانة من الحجر ، مطلية بطلاء رمادى ، ليس بها سوى مقعد خشبى، وضع عليه فى عناية بالغة قميص (بوند) الأزرق وسرواله الداكن ، وقال الحارس وهو يهم بإغلاق الباب :

ـ إنها نهاية المطاف .. اجلس حتى الموت ، أو أوجد لنفسك مخرجا .

قال (بوند) فى هدوء :

ـ ما رأيك فى عشرة آلاف دولار ، وتذكرة سفر مفتوحة ، إلى أى مكان فى الدنيا ؟

ابتسم الحارس ، وبدت أسنانه الصفراء واضحة ، وهو يقول :

ـ لا يا سيدى .. إننى أفضل البقاء على قيد الحياة .

ـ يمكننا أن نفر من هنا معا .

صرخ الحارس :

ـ إليك عنى .

وأغلق الباب فى إحكام ..

وراح (بوند) يدرس زنزانته جيدا ..

لم تكن هناك سوى فتحة واحدة للتهوية ، مغطاة بسلك سميك ، ولكنها تكفى لمرور جسده ، وكانت ساعته تشير إلى العاشرة والنصف ، وموعد خروج جيش السرطان الأسود يقترب ، ومعه يقترب مصرع (هنى) ، ومن المحتم أن يعمل هو بأقصى قوته وسرعته ، لو أراد استعادتها على قيد الحياة ..

وبسرعة خلع (بوند) الزى الصينى ، وارتدى قميصه وسرواله ، واستل السكين ، وراح يختبر



ومد أصابعه عن آخرها ، حتى لمس السلك الذى يغطى الفتحة .. وفجأة شعر بصدمة قوية ، دفعته بعيدا ، والقته أرضا فى عنف ..

قوتهـا بحفر الحائط الصخرى ، ثم وضـعها بين أسنانه ، وجذب المقعد إلى أسفل فتحة التهوية ، ووقف فوقه ، ومد أصابعه عن آخرها ، حتى لمس السلك الذى يغطى الفتحة ..

وفجأة شعر بصدمة قوية ، دفعته بعيدا ، والقته أرضا فى عنف ..

كانت الأسلاك مكهربة ..

وراح (بوند) يهز رأسه فى قوة ، ليتخلص من أثر الصدمة الكهربية ، ورأى أطراف أصابعه محروقة ملتهبة ، إلا أن هذا لم يثنه عن عزمه ، فالتقط الزى الصينى ، ومزقه تمزيقا ، ثم صعد مرة أخرى إلى النافذة ..

وبمعاونة القماش العازل ، أمكنه انتزاع الغطاء الشبكى هـذه المرة ، فهبط ليجلس على مقعده ، وراح يستخدم قدم المقعد كمطرقة ، حتى صنع من الأسلاك رمحا حادا مدببا ، ثم صعد فـوق المقعد للمرة الثالثة ، وتطلع عبر النافذة ..

بدت له الفتحة كافية لمرور جسده ، وعلى ضوء القداحة ، وجدها تمتد على هيئـة أنبوب طويل ، يبدو وكأن لا نهاية له ..

ودفع (بوند) جسده عبر الفتحة ، وراح يزحف داخل الأنبوب ، وايقن على الفور ، من رائحة الهواء النظيف ، انهـا فتحة هواء التكييف ، وراح يكمل طريقه عبرها ، وهو يتسـاءل اى هول ينتظره فى نهايتها ، إلا انه لم يجد امامه سـوى نهاية الممر ، وبداية اسطوانة ترتفع إلى اعلى ، لمسافة عشرين مترا تقريبا ، وينبعث داخلها ضوء قوى ، وكأنهـا فوهة مدفع مصوبة إليه ..

وتساءل (بوند) هل يمكنه تسـلق الاسطوانة ذات الجدران الملساء ام لا ؟

ودون ان يمنح نفسه فرصة للتفكير والتراجع ، الصق ظهره بجدار الأسطوانة الداخلى ، والصق قدميه العاريتين بالجدار المقابل ، وراح يدفع جسده إلى اعلى فى بطء مثير للتوتر ..

ومضى الوقت بطيئا ، و (بوند) يصعد مترا ، ويهبط قليلا ، ويتوقف بضـع لحظات ليبرد الهواء عرقه ، الذى يكـاد يدفعه للانزلاق إلى اسفل بين حين وآخر ، والسكين بين اسنانه ، يضغطها فى إحكام ..

ثم ارتطم راسه بقمة الأسطوانة ..

لقد بلغ النهاية ..

لا .. لقد راى امامه انبوبا جديدا ..

وبكل ما تبقى فى جسده من قوة وإصرار ، دفع جسده إلى الأمام ، وسقط على وجهه داخل الانبوب الجديد ، ثم اسرع ينقلب على ظهره ، وهو يلهث فى شدة ..

لم يكن يدرى لحظتها اين هو ، ولكنه كان يحدق فى نافذة زجاجية ، هى مصدر ذلك الضوء ، الذى يملأ المكان ويغمره تماما ، و ..

وفجاة انتفض جسده فى قوة ..

لقد راى عينين تحدقان فى وجهه ، عبر النافذة ، ثم تختفيان فى سرعة ..

إنه احد رجال (نو) حتما ..

ذلك الوغد يتتبع خطواته إذن ..

فليكن ..

لا مجال للتراجع ، على الرغم من هذا ..

وبمزيد من الحزم ، امسك (بوند) السكين بين اسنانه ، وراح يواصل طريقه إلى الامام ..

وراح الضـوء يخفت تدريجيا ، والحرارة ترتفع داخل الأنبوب ، فاشـعل (بوند) قداحته ، وهو

يتصبب عرقا ، ومال مع الأنبوب يمينا ، وخيل إليه انه يميز رائحة معدن منصـــهر ، وارتفعت حرارة الأنبوب تحته فى شدة ..

وبلا تردد ، خلع (بوند) قميصه ، ومزقه بالسكين إلى شرائح صغيرة ، لفها حول يديه وقدميه ، ورفع معدته عن أرضية الأنبوب الساخنة ، وواصـــل زحفه فى إصرار نحو الحرارة المرتفعة ، على الرغم من الأدخنـــة المحيطة به ، والعرق الغزير ، الذى يلهب عينيه ..

وراح يصرخ ألما كلما لمس جزء من جسده الأنبوب الملتهب ، ولكنه لم يتوقف ، وقرر أنه لن يستسلم أبدا ، فصراخه يؤكد أنه ما يزال حيا ، وسيبذل اقصى جهده لحماية حياته ..

وحياة (هنى) ..

وفجاة لمست يده شيئا باردا ، فاندفع يعبـــر عوازل من مادة (الاسبستوس) ، وتبعها عبـــر منحنى آخر شديد الإظلام ، يكفيه فيـــه أنه بارد كالثلج ..

وفى استسلام ألقى (بوند) جسده أرضـــا ، وعاد يلهث ..

اخيرا عاد إلى الهواء البارد ، بعد ان كاد يشوى حيـــا ..

وانتعش (بوند) بعد قليل ، ولاحت له بقعـــة ضوء من بعيد ، فاستجمع قواه ، وذهب إليها ..

ومرة اخرى راى نافذة زجاجية ، وخلفها عينان ترقبانه ..

واسرع (بوند) يبتعد ، وقد أثارت تلك المراقبة ثائرته ، وجعلته يشعر وكأنه حيوان تجارب يرقبه احد العلماء فى شغف ، عبر متاهة قاتلة ..

واخيرا راى (بوند) القمر من بعيد ، فى نهاية الأنبوب ..

وبكل لهفته للنجاة ، راح يزحف نحـــوه ، وهو يمنى نفسه بالخروج من هذا التيه القاتل ، ويحاول إقناع نفسه بأنه كان سيلاقى ما هو أشد هولا ، لو أنه مجـــرد مســـافر عادى ، سقطت طائرته وارتطمت بالأرض ، و ...

وفجاة لاحت له اجسام صغيرة تعبر بينه وبين صورة القمر ، فأسرع يشعل قداحته ، واختفت تلك الأجسام على الفور ، وإن راى على ضوء القداحة

ان نهاية الانبوب مغلقة بشبكة اخــرى من الأسلاك السميكة ..

ثم رأى تلك الأجسام الصغيرة فى وضوح ..

كانت عناكب حمراء بشعة ، من النوع السام ، يبلغ طول الواحــدة منها سبعة سنتيمترات على الأقل ، وكان هناك ما يقرب من عشرين واحــدة منها ، تعترض طريقه إلى الخارج ، وكان عليــه ان يعثر على وسيلة لعبورها ..

وادرك بغتة انه يحمل الوسيلة ..

واشــعل (بوند) قداحتــه بأقصى قوتهـــا ، وصدر منها لسان من اللهب ، جعل العناكب تتراجع ، وتنكمش كلها فى ركن قصى ، وهنا أخرج الرمح الذى صنعه من أسلاك الشــبكة الاولى ، وراح يطعن العناكب واحدة بعد الأخرى ، وثارت ثائرة العناكب السامة ، وحــاولت مهاجمته ، فأطلق اللهب فى وجوهها ..

واستمر قتاله مع العناكب قرابة نصف الساعة ، حتى قضى عليها كلها فى النهاية ..

وعندئذ مزق (بوند) الشبكة ، وعبرهـــا فى سرعة ..

ولكنها لم تكن نهاية المطاف ..

لقد خدعه بصره ..

لم يكن ذلك الضوء ضوء القمر ، بل كان ضوء نافذة اخرى ، تطل من خلفها عينان مراقبتان ..

وهذه المرة استلقى (بوند) ، وتظاهر بالموت ..

وعلى الرغم من عينيه المغلقتين ، كان يشــعر بنظرات المراقب ، الذى لم يلبث ان غادر موقعه فى سرعة ، وكأنمـــا هــرع ليبلغ (نــو) أمر مصرع (بوند) ..

وبسرعة واصل (بوند) تقدمه عبر الممر ، الذى راح ينحدر تدريجيا ، ويزداد انحدارا واتساعا ..

وفجاة فقد (بوند) توازنه ، ووجد نفسه ينزلق عبر الممر فى سرعة ..

وفجاة ايضا عبره إلى الهواء الطلق ..

ووجد نفسه يهوى من حالق ..

نحو مصير مجهول ..

* * *

١٧ ـ أذرع الموت ..

هوى (بوند) بكل ثقله عبر الهواء ، وخيل إليه لحظات ان مصيره المحتم هو الموت سحقا ، إلا ان عينيه لمحتا بغتة سطح المـاء الفضى ..

وبحركة غريزية تنـاول (بوند) السـكين بين اسنانه ، ومال براسه إلى اسفل ، ومد ذراعيـه إلى الأمام ..

وارتطم بالمـاء ..

وغاص ما يقرب من ستة امتار ..

وفقد الوعى ..

وفى بطء راح جسده يصعد إلى السطح تدريجيا ، فارسل مخه إشارة إلى اطرافه ، واستعاد وعيه دفعة واحدة ، فراح يضرب الماء بذراعيه وساقيه ، صاعدا إلى أعلى ..

وعندما صعد إلى سطح المـاء ، راح يسعل فى شدة ، إلا انه لم يكد يلمح الشاطىء من بعيد حتى سبح نحوه على الفور ، ولكن حاجزا من الأعمدة الحديدية اعترض طريقه ، فتعلق به ليحصل على قدر من الراحة ، وبدت له اضواء الفجر من بعيد ،

ولاحظ ان الماء اسفله عميق ، وان تلك الأعمدة ترتفع إلى علو مترين تقريبا ، وتغوص إلى القرار ..

وانتبه (بوند) إلى سرب من الأسماك يقتـرب منه ، ويلتقط نقاطا صغيرة تسبح حوله ، ثم انتبه فجأة إلى ان هـذه النقاط السـوداء هى دمـه المتخثر ..

نعم .. كانت الدماء تسيل من كتفه وركبتـه وقدميه ، وكان ماء البحر يكوى جروحه ، ويؤلمه ..

وخشى لحظة ان تكون تلك الأسماك الصغيرة من الأسماك المفترسة ، ولكنها تلتهم دمه فحسب ، ولكن لو ان رائحة الدم قد جذبت الأسماك الصغيرة هكذا ، فماذا عن (الباراكودا) واسماك القرش ..

بدا له ان الغرض الوحيد من إقامة هذا الحاجز من الأعمدة هو احتجاز الأسماك المفترسة ، ومنعها من بلوغ البحر المفتوح ، إلا ان هذا يمنعه من تسلق الحاجز ، والعبور إلى الجانب الآخر منه ، مهما كان الثمن ..

لقد اسـتنفذ (بوند) قواه تمامـا ، واعتصرها اعتصارا ، حتى ليكاد يستسلم للموت الآن ، لولا رغبته العارمة فى إنجاح مهمته ، وإنقاذ (هنى) ..

وفجاة تجمدت الدماء فى عروقه ..

لقد بدا المـــاء من تحته وكأنه يغلى ، ثم برزت أمامه بغتة عينان كبيرتان ..

إنها إذن مفاجأة (نو) الأخيرة ..

الحلوى التى تأتى فى نهاية الوجبات ..

كان هذا الشىء أخطبوطا ضخما ..

ذلك الحيوان ، الذى قالت عنه الأساطير : إنه يلف أذرعته حول القوارب ، ويجذبها معـــه إلى القرار ..

وبسرعة راح (بوند) يتسلق الحاجز الحديدى ..

لقد صار العبور إلى الناحية الأخـــرى محتمـــا الآن ..

وفى صبر وهدوء ، راح الأخطبوط يراقبه ، ثم مد إحدى أذرعته فى بطء ، وراح يتحسس بها ســـاق (بوند) ، الذى يهبط من الناحية الأخرى من الحاجز ، وكأنما يختبرها قبل الهجوم ، ثم ارتفعت الذراع إلى وسط (بوند) ، والتفت حوله ..

وفى هذه اللحظة حلقت أسراب الطيور ، وارتفع صـــوت باخرة الشحن الشـــهرية ، إيذانا ببـــدء احتفالات عمال الجزيرة . .

وفجأة التفت الذراع حول وسط (بوند) ، وقفزت ذراع أخرى لتضربه فى وجهه ، ولكن (بوند) أبعد

وجهه فى الوقت المناسب ، فارتطمت الذراع بالحاجز الحديدى ، واعتصرت الأخرى وســـط (بوند) ، حتى كادت تنغرز فيه ..

وبكل قواه ، راح (بوند) يطعن ، ويطعن ، ثم استل الرمح من جســـده ، والذراع تكاد تشـــطره شطرين ، وترك جسده ينزلق فى سرعة ، وغرس الرمح فى عين الأخطبوط بكل قوته ..

وتفجر البحر من حوله ، وسقط فى دوامة رهيبة ، وتشبث بالحاجز الحديدى بكل قواه ، حتى غمره الضـــوء ، ووجد نفســـه وحيـــدا ، مغطى بالحبر الأسود ، الذى أطلقه الحيوان فى وجه ..

ولكن أين ذهب ؟..

لم ينتظر ليأتيه الجواب ، بل راح يسبح نحـــو الشاطىء الصخرى بكل ما تبقى من قواه ، وخيل إليه أنه يجر خلفه دبابة كاملة ، حتى أنه لم يكد يبلغ الشاطىء حتى ارتمى فوقه كالقتيل ، وكشف أنه مصاب بعدة جروح وقروح ، فى أنحـــاء شتى من جسده ، إلا أن أعضاء جسده كلها سليمة ، لم يفقد منها عضوا واحدا ، أو يكسر طرف واحد ..

وقرر (بوند) أن يواصـــل كفـــاحه ، فلم يبق إلا القليل ، ثم إن عليه أن يبذل أقصى جهده لإنقاذ

(هنى) ، والانتقام لمصرع (كواريل) ، وتحطيم (نـو) بجنونه وسطوته ، قبل ان يعانى العـالم كله من هلوسته وهذيانه ..

ومن بعيد تناهى إلى مسامعه صوت العمال ، وهم ينقلون مخلفات الطيور إلى السفينة ، وبدت له السماء من فوقه صـافية ، تحوم فيها اسراب الطيور ، واستنتج (بوند) ان السـاعة تقارب السادسة ، وكاد يستسلم لقليل من النوم ، لولا ان تناهى إلى مسامعه صوت قريب يقول :

ـ هيا .. انطلق .

واعقبه صوت يهتف :

ـ لا باس .

ثم تبعهما هدير آلة ضـخمة ، جعلت (بوند) يقفز من مكانه ، ويهرع إلى مصدر الصوت ، حيث ابرز راسه فى حذر ، وراح ينعم النظر فيما امامه ..

كانت هـذه هى الآلة التى تجمع المخلفـات ، وتذهب بها إلى حيث ترسو السفينة ..

وهنا برزت الخطة فى راس (بوند) ..

واشتعل حماس الصراع فى اعماقه ..

* * *

١٨ ـ الهجوم ..

انتظر (بوند) حتى استرد انفاسـه ، واستعاد بعض قواه ، ثم دس السكين فى حزامه من الخلف ، واطمان إلى وجـوده ، ثم راح يدرس موقفه من جديد ..

على بعد عشرة امتار منه فقط ، تتحرك رافعة نقل مخلفات الطيور ، يقودها رجل صينى واحد ، فى حين تبدو سفينة نقل المخلفات هادئة ، خاوية ، إلا من رجل واحد يقف على سـطحها ، إلى جوار عجلة قيادتها ، فى حجرة خاصة ، على حين يبدو ان باقى طاقمها يختفى فى قرارها ، بعيدا عن ذلك الغبار الضار ، المتطاير من مخلفات الطيور فى اثناء نقلها ، فى حين كان هناك سير آلى ضخم ، يهبط من قمة الجبل إلى حيث تقف الرافعة ، وتتحرك فوقه اكياس من الخيش ، تمتلىء بالمخلفات ، ويتم تفريغها آليا ، لتنقلها الرافعة إلى السفينة ، وإلى يسـار المرسى وقف دكتور (نو) من بعيد ، يراقب ويباشر عملية النقل والشحن ..

فقط رجل او رجلان فى موقع العمل ، والباقى كله

آلات اخترعها ذلك العبقرى المجنون دكتور (نو) ..

ولكن لا ريب انه هناك عدد هائل من العمال فوق الجبل ، يعملون على ملء اكياس الخيش بمخلفات الطيور ، ومن الواضح انه غير مسموح لهم بالاقتراب من هذا الجانب ..

وراح (بوند) يختبر ارض المعركة ، ويدرسها جيدا ، ثم لم يلبث ثغره ان افتر عن ابتسامة ارتياح ، وهو يتمتم :

– لابد من تنفيذ الخطة بسرعة ، ودون إبطاء .. وستكون النتائج رائعة .

كان سائق الرافعة مندمجا فى عمله تماما ، حتى انه لم يلحظ (بوند) ، فى حين كان (نو) يقف على بعد عشرين مترا ايضا ، موليا ظهره إلى حيث يقف بطلنا ..

وبغتة تحرك (بوند) ..

انطلق يعدو نحو الرافعة ، وبخفة نمر التقط سكينه ، وقفز يتسلق الرافعة فى رشاقة ، ثم هوى بخنجره على عنق قائدها الصينى ، ولم ينتظر حتى ليسمع صرخة الألم ، التى اطلقها الرجل ، بل ازاحه عن مقعده ، واحتل مكانه فى لمح البصر ،

وراح يواصل العمل فى سرعة ، كأن شيئاً لم يتغير ..

وتعلقت عيناه بـ (نو) ، الذى بدا وكأنما ينادى شخصا ما ، او يتحدث فيما يشبه الهاتف بين يديه ..

وفى حزم ، ادار (بوند) الرافعة المحملة بمخلفات الطيور نحو (نو) ..

وافرغها ..

افرغها فوق الصينى العبقرى ، الذى فغر فاه فى ذهول ، واطلق صرخة مفزعة ، وراح يلوح بيديه فى رعب ، والمخلفات تهوى على راسه ..

ثم صمت (نو) ..

صمت بعد ان اختفى جسده كله تحت مخلفات الطيور ..

ولم يتوقف (بوند) ..

راح يعمل فى مزيد من الهمة والنشاط ، وجبل المخلفات يرتفع فوق جسد (نو) .. ويرتفع .. ويرتفع ..

وهنا اطلقت السفينة ثلاث صفارات متقطعة ، ثم اتبعتها بواحدة طويلة متصلة ..

وادرك (بوند) ان ساعة الهرب قد حانت ..



وراح يلوح بيديه فى رعب ، والمخلفات تهوى على راسه ..

وبسرعة انحنى (بوند) ينتزع مسدس قائد الرافعة القتيل ، ودسه فى جيب سرواله ، ثم قفز إلى الأرض ، ولمح سلما يصعد إلى قمة الجبل ، حيث تتم تعبئة المخلفات ، وينتهى عند القمة بباب حديدى ، فاندفع يصعد فى درجات السلم كالصاروخ ، ودفع الباب ، الذى استجاب له فى بساطة ، وقاده إلى نفق خافت الأضواء ، يعبق برائحة النشادر ، وعبره (بوند) بأقصى سرعته ، دون أن يتساءل عما ينتظره فى نهايته ..

كان هدفه كله هو أن يجد حارسا ، يمكنه أن ينتزع منه مكان (هنى) ..

وفجأة اصطدم (بوند) بشخص ما ، وقفزت قبضتان تعتصران عنقه ، ولكن (بوند) مال بجسده كله إلى أسفل ، وامسك ساقى العملاق ، الذى يعتصر عنقه ، وجذبه فى قوة ، فسقط الرجل على ظهره ، ودفعه (بوند) نحو السير المتحرك ، فارتطم به الرجل ، واطلق صرخة مجلجلة فى المكان كله ، والسير يمزقه شر ممزق ..

وفجأة انغرست أسنان حادة فى كتف (بوند) ، وشعر بأظفار قوية تمزق عضلاته ، فأدار كفيه إلى

ما خلف ظهره ، وامسك بالجسد الضئيل الصغير ، ولم يكد يلتفت ليواجهه ، حتى وجد نفسه يصرخ :

— (هنى) ؟!.. مستحيل !

هتفت (هنى) :

— (جيمس) .. يا إلهى !.. (جيمس) .

ثم ألقت نفسها بين ذراعيه ، وتفجرت باكية ، مستطردة :

— لست أصدق يا (جيمس) .. اهو انت حقا ؟!.. اهو انت ؟!

ربت على كتفها مطمئنا ، وهو يقول :

— لقد انتهى كل شىء يا عزيزتى .. لقد مات (نو) ، وعلينا ان نغادر هذا النفق اولا ، ثم نبادر بالفرار من الجزيرة كلها .. اخبرينى : كيف وصلت إلى هنا ؟

— إن نهاية هذا النفق قريبة ، حيث يوجد نفق جانبى آخر ، ينتهى بورشة الآلات .

— اتبعينى إذن .

راحا يعدوان عبر النفق ، حتى بلغا نهاية النفق الجانبى ، الذى يتشعب إلى ثلاث اتجاهات ، وقبل ان يسأل (بوند) (هنى) عن الاتجاه المناسب ،

سمع وقع اقدام تقترب فى سرعة ، فاستل مسدسه مغمغما :

— يبدو أننا سنضطر لقتلهم .

اجابته (هنى) فى كراهية :

— إنهم يستحقون هذا .

صمت الاثنان ، وتعالى صوت ثلاثة رجال يقتربون ، وارتفع صوت احدهم ، وهو يقول :

— لقد ربحت الرهان يا (سلم) .

وقال الثانى :

— سنسحقها سحقا .

أما الثالث فاطلق ضحكة عالية ، قبل ان يقول :

— ليس قبل أن انهى عملى مع الفتاة .

وهنا برز (بوند) من مخبئه ، وقال :

— هذا لو انك ستبقى حيا لتفعل .

التفت إليه الرجال الثلاثة فى سرعة وذعر ، واخترقت رصاصته راس اولهم ، قبل أن يدرك حتى ما حدث ، وغاصت الرصاصة الثانية فى معدة الثانى ، فى حين اطلق الثالث رصاصة مذعورة ، مرقت فوق راس (بوند) ، الذى اطلق رصاصته الثالثة ، فامسك الثالث عنقه ، ودار حول نفسه فى عنف ، ثم هوى جثة هامدة ..

وانطلقت رصاصات أخرى فى الممر من بعيد ، ولكن (بوند) و (هنى) لم يضيعا لحظة واحدة ، بل انطلقا يعدوان بأقصى ما يمكنهما من قوة عبر النفق ، وقد قرر (بوند) أن يقتل كل من يعترض طريقه بلا رحمة ، فلقد كان أملهما الوحيد فى النجاة هو بلوغ الورشة ، والتنين الآلى ..

واطلقت (هنى) صرخة الم ، وهى تسقط ارضا ، فانحنى (بوند) يعاونها على النهوض ، وهو يسألها فى قلق :

ــ هل أصابك مكروه ؟

غمغمت فى تهالك :

ــ إننى مرهقة منهكة فحسب .. امض انت فى طريقك وحدك .

حملها فى حزم ، غير آبه باعتراضاتها ، حتى بلغا الورشة ، فدفع (بوند) بابها بقدمه فى عنف ، ويده تمسك المسدس فى تحفز ، ولكن الورشة كانت خالية إلا من التنين الآلى ، وتمنى (بوند) لحظتها لو ان خزان الآلة الجهنمية يمتلىء بالوقود ..

وفجأة ارتفعت عدة أصوات من الخارج ، ولم يجد (بوند) أمامه من مخبأ سوى التنين الآلى ، فدلف إليه مع (هنى) ، واغلق بابه خلفهما فى

إحكام ، ولاحظ ان مسدسه لم يعد يحوى سوى ثلاث رصاصات فحسب ، وسمع الأصوات داخل الورشة ، وأحدها يقول :

ــ كيف علمت انهم كانوا يطلقون النار ؟

ــ إننى اميز صوت الطلقات النارية جيدا .

ــ حسنا .. خذ هذه البندقية يا (چو) ، وهذه لك يا (ليمى) ، وهناك بعض القنابل تحت المنضدة ، لا ريب ان شيئا قد حدث .. اخبرونى .. هل تفقد احدكم الفتاة هذا الصباح ؟

ــ لا يا سيدى .

ــ كيف يحدث هذا ؟.. إن امركم يدهشنى فى الواقع .. هيا الآن إلى النفق ، ولو راى احدكم (بوند) ، فليطلق النار على ساقيه ، فالقائد يريده حيا .

بدا وقع اقدامهم يبتعد داخل النفق ، حتى تلاشى ، وهنا ادار (بوند) محرك التنين الآلى ، الذى استجاب بعد عدة محاولات ..

وانطلقت الآلة الجهنمية تشق طريقها ..

وساد الهرج والمرج ..

وانطلق سيل من الرصاصات خلف التنين ،

واندفعت الكلاب المتوحشة إليه ، فاطلق (بوند) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ إنهم يدفعون الآن ثمن ما فعلوه بغيرهم .

توقف إطلاق النار بعد قليل ، فى حين واصلت الكلاب مطاردتها للتنين ، وهنا اطلق (بوند) رصاصة على أحدها ، فأراده قتيلا ..

وتوقفت المطاردة تقريبا ..

ولخمس دقائق كاملة ، راحت السيارة الجهنمية تسير فى صمت وهدوء ، ثم لم يلبث (بوند) أن قطع حبل الصمت ، قائلا :

ـ لقد نجونا يا (هنى) .. سيعصف بهم الخوف ، عندما يكشفون مصرع قائدهم الجهنمى .. واظن الأذكياء منهم سيفرون إلى (كوبا) ، وسينسون كل شىء عن (نو) ، فى غمرة اهتمامهم بأنفسهم .

ثم ابتسم وهو يسالها :

ـ ولكن كيف أمكنك الفرار من سرطان البحر الأسود ؟.. لقد كنت شديد القلق عليك طيلة الوقت ، واخشى ان تلتهمك الحيوانات البحرية ، وتحرمنى منك .

اطلقت (هنى) ضحكة عذبة طويلة ، وقالت :

ـ لقد تصور ذلك الوغد (نو) ، انه يفهم

الحيوانات اكثر منى ، ويبدو انه يخشى سرطان البحر الأسود هذا كثيرا فى اعماقه ، اما انا فلم اخشه ؛ لأن تلك الحيوانات لا تهاجم اى شخص يستلقى هادئا ، دون أن يثير خوفها وذعرها ، ثم إنها لا تميل إلى اللحم ، بل هى حيوانات نباتية تقريبا ، واظن تلك الزنجية التى استخدمها لتجربته الأولى قد ماتت من شدة الفزع ، ولقد احاطت بى سرطانات البحر بالمئات ، ولكننى لم اهتم بها ، فلقد اعتدت ملامسة الحشرات منذ صباى ، ورحت افكر فيك فحسب ، حتى انبلج الصباح ، وعادت السرطانات إلى اوكارها ، وهنا نزعت الأوتاد التى تثبتنى إلى الأرض ، وعدت إلى المبنى حيث تسللت إلى حجرة الآلات ، والتقينا داخل النفق .

ابتسم (بوند) فى حنان ، وربت على كتفها ، قائلا :

ـ لقد نجونا على اية حال يا عزيزتى .. وانتهى كل شىء .

ومن بعيد ، لاح لهما الساحل ..

ساحل الحرية ..

* * *

١٩ – الختـام ..

حدق الحاكم فى وجه (بوند) فى ذهول ، قبل ان يهتف فى هلع وذعر :

– هل انت واثق مما تقول ؟!

كان من المفزع بالنسبة إليه أن يحدث كل هذا فى مقاطعته ، دون ان يدرى به شـيئا ، ولقد اجابه (بوند) فى صرامة :

– لقد عشت كل لحظة منه يا سيدى :

انهار الحاكم ، وهو يقول :

– ستتسرب الانباء إلى الصحافة حتما .. إلى كل الصحف العالمية .. سأرسل تقريرا عاجلا إلى وزير الخارجية ، واظننى استطيع الاعتماد عليك .. اليس كذلك ؟

لم ينبس (بوند) ببنت شـفه ، فى حين تدخل قائد قوات الدفاع فى البحر الكاريبى ، وقال :

– عفوا يا سيدى الحاكم .. اظن مستر (بوند) لن يتصل إلا برؤسائه ، ويمكننا ان نبدا نحن بتطهير (كراب كى) ، دون انتظار اوامر من (لندن) ، و ..

قاطعه الحاكم فى لهفة :

– اوافق يا (بريجادير) .. اسرع ، ولا تضيع لحظة واحدة ، وسأقتفى انا اثر رجال (نو) هنا ، وسأرسل الغواصين إلى نهر (موناريزرغوار) ، للبحث عن جثتى (سترانجوايز) و (تروبلود) ، و ...

شرد (بوند) بتفكيره ، وهـو يستمع إلى كل هذا ، وترك جسده يسترخى فى مقعده تماما ..

واستعاد كل ما حدث ..

اللقاء مع (هنى) ..

مصرع (كواريل) ..

(نو) وحصنه الحصين ..

وتساءل فى اعماقه عما إذا كان رجال (نو) قد استخرجوا جثة زعيمهم من تحت مخلفات الطيور ، ام انهم قد تركوها فى غمرة ذعرهم وتعجلهم ..

وانتزعه من شروده صوت السكرتير العام ، وهو يذكر اسمه ، ويضيف فى اهتمام :

– لقد نجا من الموت باعجوبة حقا ، والواقع يا سيدى اننا نعجز عن منح الكابتن (بوند) حقه ، فهو يستحق الثناء كله .. لقد انجز ثلاثة اربـاع

المهمة وحده ، ولم يعد امامنا سوى إنجاز الربع الباقى ، و ..

كان الحاكم هو الذى يشرد بتفكيره هذه المرة ، وهو يتخيل دور (بوند) فى المهمة ، ثم يحلم بعناوين صحف الصباح التالى ، وهى تقول :

ـ « الحاكم يتخذ قرارا حاسما » .. « انقلبت جزيرة (نو) راسا على عقب » .. « القوات البحرية الملكية تنقذ العالم من مجنون » .

وفجاة ضرب سطح مكتبه بقبضته هاتفا :

ـ لقد قررت .. سيبدا الاسطول غزو الجزيرة الآن ..

وابتسم (بوند) ..

فقط ابتسم ..

* * *

بدت (هنى) رائعة الجمال فى تلك الليلة ، فى ردائها الأبيض الفضفاض ، وهى تشعل بعض الشموع ، وسط الأطلال المتبقية من قصر والدها ، وابتسم (بوند) عندما وقع بصره على المائدة الصغيرة ، التى اعدت (هنى) فوقها طعام العشاء ، وإلى الملاعق الفضية اللامعة فوقها ، وقال :

ـ كنت اظنك معدمة يا (هنى).

اطلقت ضحكة صافية ، وهى تقول :

ـ إنها كل ما تبقى لى من ايام المجد القديمة ، ولقد قضيت اليوم كله فى تنظيفها وتلميعها ، فليس فى كل يوم يحتفل المرء بنجاته من وحش مثل (نو) .

اطلق (بوند) ضحكة صافية بدوره ..

وراح الاثنان يتناولان طعام العشاء على ضوء الشموع ، والهدوء يملأ نفسيهما ..

لقد انتهت أيام الرعب ..

وانتهى دكتور (نو) ..

* * *

تمت بحمد الله

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

دكتور نو



واحدة من أروع روايات (أيان فلمنج) ، رجل المخابرات البريطانية السابق ، ومبتكر أشهر شخصية من شخصيات عالم المخابرات فى العالم أجمع (جيمس بوند) ، وفى هذه الرواية يواجه (بوند) واحدًا من أعتى مجرمى الأرض ، فى جزيرة شيطانية منعزلة ، تثير رعب كل سكان (جامايكا) ، فلمن يكون النصر ؟

الثمن فى مصر
١٢٥ قرشًا
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : حرب النجوم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقى بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥